

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الرقم التسلسلي:/.....

رقم التسجيل 1: 171735097681

رقم التسجيل 2: 033094616

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

بغنوان

السرد التاريخي في الرواية الجزائرية الكولونيل الزبربر أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- رقي شيماء

- شيحي زينب

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

أ. . زاوي سارة

ب. . ربيعة حمادي

ت. . وهيبة بوشليق

السنة الجامعية: 2023/2022

شكر وتقدير

الحمد لله الذي ينتهي إليه حمد الحامدين ولديه يزداد شكر الشاكرين، الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام . ونشكر الله تعالى أن هدانا للخوض في هذه الدراسة وأعاننا على إنجازها بتوفيقه، ثم نتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من مد يد العون والمساعدة لإكمال هذه الثمرة، وأخص بالشكر أستاذتي زاوي سارة المشرفة على المذكرة، التي أكرمتنا بتواضعها وحسن تعاملها وخلقها وتوجيهاتها التي كانت لها أبلغ الأثر في تذليل المصاعب وتخطي العقبات .

إهداء

إلى والدي الغاليان حفظهما الله وامدّهما بالصحة والعافية
إلى زوجي الغالي حفظه الله وأعزه الذي وفر لي كل سُبُل الرّاحة من أجل إتمام هذا
العمل وتقديمه في قالب مُتقن .

إلى قرة عيني وفلذة كبدي ابني **أنس** حفظه الله ورعاه

إلى أساتذتي الكرام

إلى كل من علمني حرفا ووهبني معلومة

إلى كل من يحب العلم والمعرفة

أهدي هذه الدراسة المتواضعة راجيا من المولى

عز وجل أن تجد القبول والنجاح.

مقدمة

اعتلت الرواية عرش الابداع الأدبي الذي تربع عليه الشعر قرونا عديدة ، وأصبحت ديوان العرب الحديث بلا منازع ، ومن يحيل نظره في هذا النتاج الادبي يلحظ أن له حضور بارز وقوي ، لاسيما أنه يقف على قضايا هامة في المجتمع يقدمها دون خجل أو خوف ، ولاشك أنه أصبح يعتبر المرآة العاكسة والمحاكية لحياة الشعوب.

ومن بين الروافد السردية التي نهل منها النص الروائي التاريخ ، هذه المادة التي شكلت بالنسبة للكثير من الروائيين منيعا أساسيا لكتابتهم الأدبية، وأصبحت المكون الرئيسي في عملية الإنتاج الإبداعي، عبر علاقتها المباشرة بالأحداث التي تشهدها الإنسانية، وبالتالي أضحت الرواية انعكاسا تاريخيا لحياة المجتمعات.

هذا الانعكاس هو نتاج للعلاقة الجامعة بين الفن الروائي والتاريخ باعتبارهما فنين يقومان على السرد حيث نتج ما يسمى بالسرد التاريخي، حيث انفتقت الرواية الجزائرية المخيلة للتاريخ بطاقة إبداعية استطاعت التقاط ما هو جوهري في علاقة الإنسان بالتاريخ، التقدم تصورها لهذه العلاقة من منظورها الفني، تبعا لموضوعاتها الخاصة وسياقاتها المنتجة،

هذا الأخير الذي اعتمده الروائي عز الدين جلاوجي في روايته "حرية والبعثن المهدى المنتظر من خلال طرحة لقضية تاريخية مهمة مرتكزا على مرجعين أساسيين في السرد التاريخي: المرجعية التاريخية - الواقع - والمرجعية المتخيلة - الرواية - .

وإذا كان لابد لأي بحث من دوافع وأسباب فان سبب اختيار موضوع البحث هذا ودوافعه الموسوم ب السرد التاريخي في الرواية الجزائرية الكولونيل الزبربر أنموذجا ، وما ستهوانا أكثر تلمسنا لحضور تاريخ الجزائر فيها، كما يملئ علينا التخصص كوننا طلبة ماستر أدب جزائري، وكان لابد من طرح إشكاليات وتساؤلات لولوج عالم الرواية ودراسته.

- ماهي الآليات وأدوات التخيل التي استخدمها الكاتب في رسم شخصيات روايته.

- إلى أي مدى وفق الروائي في استلهم ملامح التاريخ في الرواية.

تكمن أهمية بحثنا في سعيه إلى إثارة إشكال التاريخ في امتداده نحو الرواية الجزائرية ومحاولة الإجابة عن التداخل بينهما، وإبراز مدى احتفاء الروائيين الجزائريين بالماضي ومكانته عندهم، وذلك بأن ما يتمثل من وقائع تاريخية تسجل تخيلا بيد المبدع، وللإجابة عن هذه التساؤلات والاشكاليات، قمنا بدراسة تمثلت في الآتي:

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على خطة جاءت كالآتي:

ضمت مقدمة ومدخل وفصلين وقد ذيلت بخاتمة ، المدخل تمهيد نظري حول المفاهيم الأساسية في البحث يشمل: الرواية والتاريخ ، أما الفصل الأول فهو بعنوان مظاهر السرد التاريخي في رواية الكولونيل الزبربر والفصل الثاني جاء بعنوان مظاهر السرد التخيلي في رواية الكولونيل الزبربر.

المدخل : الرواية والتاريخ

- الرواية الجزائرية بين النشأة والتطور.
- الرواية التاريخية.
- بين التاريخ والرواية.

1- الرواية الجزائرية بين النشأة والتطور:

تطور الأدب الجزائري الحديث خلال العقود الماضية، فقد انتشرت الأشكال النثرية آنذاك خاصة ما مثل الخصائص الثقافية العربية الإسلامية، هذا بالإضافة إلى التعبير عن الظروف السياسية والاجتماعية والإنسانية والحضارية، مثلما ظهر هذا في ما خلفته النهضة الأدبية في الجزائر.

يرى "مصطفى فاسي" أن الرواية المكتوبة بالعربية ظهرت متأخرة في الجزائر بينما تطورت الأجناس الأدبية الأخرى الحديثة لا سيما: المقالة، القصة القصيرة، المسرحية أما الرواية فانتسعت كتابتها باللغة الفرنسية، وكانت جل موضوعاتها الجزائرية التاريخية، قضايا النضال الوطني والسياسي كما هو الأمر عند "محمد ديب"، "مالك حداد"، "كاتب ياسين"، "مولود فرعون"، "مولود معمري"¹

أما الروايات المكتوبة باللغة العربية فهي نادرة حتى نهاية الستينات فقد نشر "أحمد رضا حوحو" روايته "غادة أم القرى" إلى جانب رواية "الطالب المنكوب للكاتب " عبد الرحمان الشافعي"، وماهما حسب الدكتور "محمد مصايف" {لا قصتين مطولتين لا غير لأن الفرق دقيق جدا بين الرواية والقصة الطويلة، فالرواية أكثر تفصيلا وأوسع نظرة وأشمل في الزمان والمكان، فإذا كانت الرواية تقدم حياة كاملة أو قطاعا كاملا من الحياة، بكل ما يعتريه هذا القطاع، فإن القصة الطويلة تقتصر على جانب واحد من هذا القطاع في أسلوب خاص يجمع بين الإسهاب والاختصار}².

كما ذكرنا سابقا بعد الاستقلال ظهرت أول رواية سنة 1967م وهي "موت الغرام" للكاتب "محمد منيع"، إلا أن الرواية بمفهومها الحقيقي لهذا الفن كانت رواية "ريح الجنوب" لـ "عبد الحميد بن هدوقة" في أوائل السبعينات، هذا ما ذهب إليه كل من الدكتور "محمد

¹ - مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ط1، دار القصبة، الجزائر، 2000 م، ص 84

² - امحمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، م، و، عك، الجزائر، 1962م، ص62

مصايف" وعبد الله ركبي" ترجع أسباب تأخر ظهور هذا الفن لاحتياجه أكثر من أي فن آخر إلى الصبر والتأمل الطويل¹

إلى جانب هذا كله {يوجد انعدام تقاليد روائية جزائرية يمكن محاكاتها واحتياج فن الرواية إلى لغة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة وهو ما كان يفقته كتابنا قبل السبعينات² كما نظيف فيما كانت تعانيه الجزائر خاصة أثناء الاستعمار وصعوبة النشر والطبع آنذاك، ولكن هذا المشكل لم يعد كافيا لتبرير غياب الرواية الجزائرية حتى فترة متأخرة من الاستقلال مما يدفعنا إلى القول بأن العوامل الفنية والثقافية التي أشرنا إليها سابقا تعتبر المسؤولية كاملة على عاتق الأدباء الجزائريين ذلك أن نوع التعليم الذي تلقوه في مدارس العلماء أو في جامع الزيتونة بتونس كان تقليديا، لم يسمح لهم بإنتاج أعمال أدبية كالرواية لاعتمادهم على برامج كلاسيكية قديمة إلى جانب انشغال الكثير من خريجي هذه المدارس والجامعات بالتعليم وانصرافهم عن الكتابة والتأليف نظرا للنقص الفادح في عدد المعلمين في تلك الفترة³.

كل الأسباب سالفة الذكر ساهمت في تأخر هذا الجنس الأدبي، عكس الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية كما قلنا سابقا التي كان ظهورها في وقت مبكر نتيجة للخلفية الثقافية للكتاب فبينما وجد الكتاب باللغة الفرنسية مجالا للاحتكاك بالثقافة الغربية التي كانت تزخر بالروايات القيمة، على عكس الكتاب بالعربية الذين افتقروا إلى مثل هذه التجربة⁴.

وقد كان هذا سببا حسب عائدة أديب لتفوق الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على نظيرتها المكتوبة بالعربية، ولكن هذا لم يدم طويلا إذ عادت السيطرة فيما بعد الاستقلال للقلم العربي بفضل التعريب الذي طبق في جميع الميادين الثقافية والتربوية.

¹ - المرجع نفسه، ص138

² - عائدة أديب، الادب القصصي الجزائري، الجزائر، 1962، ص62.

³ - المرجع نفسه، ص63

⁴ - عائدة أديب، الأدب القصصي الجزائري، مرجع سابق ص63.

انطلق أدباء شباب إلى شباب الإبداع مستعملين اللغة العربية بوصفها مقوما من مقومات الشخصية الوطنية، ونشأت الرواية الجزائرية مرتكزة على الواقع المعاش سياسيا اقتصاديا واجتماعيا ومع تردي في الموقف الإيديولوجي الذي بدا أقرب إلى موقف نظام {لقد ارتبطت أعمال الروائيين الجزائريين بالواقع الجزائري فلا تكاد الجزائر تخطو خطوة في تغيير الواقع والتفكير الإنساني إلا وسأيرتها إبداعات الروائيين في كل مكان خاصة فيما يتعلق بالتاريخ فهو يعيش فيهم وفي حاضرهم، وفي مستقبلهم إن الصلة به حاضرة بشكل دائم والغاية منه لتحقيق الهوية والذات الجزائرية، ومن هنا ظهر جيل جديد، يكتب في الرواية التي تعتمد على الحقائق التاريخية، ولكن بصياغة فنية جعلت الدارسين ينظرون إليها بأنها "قصة خيالية خيالا ذا طابع تاريخي عميق" ¹.

ومن أهم الأسماء البارزة في الساحة الأدبية واستطاعوا ببراعة نسج التاريخ في قالب روائي "السعيد بوطاجين" "محمد مفلح" "الحبيب السائح" أحلام مستغانمي" "محمد الساري" "جيلالي خلاص" "زهور ونيسي" "واسيني الأعرج" ².

حيث مهد هؤلاء المبدعين لنوع أدبي جديد ناضج في الأدب الجزائري يعبر بلغة الوطن عن واقع وقضايا ومواقف مستويات أدبية فنية مختلفة.

¹ - مصطفى فاسي، دراسات الرواية الجزائرية، ص 84.

² - المرجع نفسه، ص 84.

2- الرواية التاريخية:

أ/ في الأدب الغربي :

الرواية التاريخية أكثر أنواع الرواية رقياً، فمن خلال الموضوعات التي تعالجها تسعى التحقيق أهداف ذات أهمية كبيرة، فهي تعمل على بعث الماضي في الحاضر ليكون قراءة للمستقبل "ويكاد يجمع أغلب نقاد نظرية الأدب أن هذا الجنس الروائي يعتبر دخيلاً على تأجيله ببعث الماضي، والتراث العربي لكنه في واقع الأمر يجري الموضة الغربية الأوروبية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر¹، ومنه فإن الرواية التاريخية في التراث العربي حديثه النشأة إذا ما قورنت بنظريتها الغربية التي تعود بدايتها إلى القرن التاسع عشر ميلادي لكن المتأمل لبعض الأعمال الأدبية القديمة مثل الملاحم وقصص الفروسية سيجد أنها مقدمات لهذا النوع من الروايات.

تنسب الرواية التاريخية للكاتب الأمريكي "ستيفن كرين" صاحب رواية "شارة الشجاعة الحمراء"، لكن من المؤكد أن: "ألبيرو ولتر" سكوت هو واضع أساس الرواية التاريخية الفنية ومعظم الذين جاؤوا وبعد أن اهتموا بهديه وضربوا على قلبه، وكانوا من تلاميذه وأتباعه سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوه، كما أن الظروف التي نشأ بها والتر سكوت، قد عرفت بفترة احياء التراث التاريخي، أي بعث التاريخ بعثاً جديداً، وبروح وأنفاس جديدة، لكن كتاب التاريخ في القرن التاسع عشر برغم إجادتهم أحياناً، وبروح وأنفاس جديدة، لكن كتاب التاريخ في القرن التاسع عشر برغم إجادتهم أحياناً تجديدهم لكتابة المادة التاريخية، إلا أنه كان ينقصهم أمر هام وهو فهم نفسية العصور الوسطى التي يصفونها أو يؤرخون لها، وقد استطاع والتر سكوت بخياله الواسع وعطفه الشامل أن يعرض على قرائه صوراً تاريخية

¹ - سليمة بن النور، الرواية التاريخية بين التأسيس والضرورة، المجلة الثقافية نقلاً عن الموقع، (2017/14:03/2914)

نابضة بالحياة ملونة باللون المحلي".¹

وقد اتخذ من الشخصيات الساردة شهود عيان بحيث لا تكون ملتزمة لأقصى الحدود، مما أتاح لهذه الشخصيات، أن تتحدث بحياد من جهة وأن تكون في موقع وصل بين السياسة والسياسيين، أو بين الكبار والصغار من جهة أخرى".²

وكان من الصعب على الرواية في القرن التاسع عشر السير على هذا المسار الذي رسمه "والتر سكوت"، إلا أن الروائيين الأوروبيين كانوا منبهرين بالنجاح الذي حققته الرواية التاريخية على الصعيد الأدبي، فساروا على منواله، ومنهم "بلزاك" الذي أضاف للرواية التاريخية ما يسمى وصف تاريخ العادات، حيث أصبح هو المجتمع ونجد كذلك الكاتب الفرنسي " ألكسندر ديماس" أدب التاريخ الفرنسي عام (1844 م) ابتداء من عصر لويس الثالث عشر في العهدة الملكية، وحقق نجاحا منقطع النظير وافتكح هيوغو و"فلوبير" وغيرهم".³

وبهذا بدأ الروائيون في أوروبا يتجهون إلى هذا النوع الروائي الجديد، لما يحمله من إحساس بالقومية الأوروبية، ولإحياء التراث القديم ومسح الغبار عن خفي من أحداث خاصة تلك التي تجاهلها التاريخ.

ب/ في الأدب العربي:

كان ظهور الرواية التاريخية في الأدب العربي بادئ الأمر مع الترجمات والاقتباسات خاصة بعد النشاط الكبير الذي شهدته الترجمة الأعمال الأوروبية، فقام العديد من الأدباء العرب بترجمة بعض هذه الأعمال منهم "نجيب حداد" الذي عرب "الفرسان الثلاثة" لإسكندر ديماس "كما قام" سليم البستاني" بترجمة "إلياذة هوميروس" وسط تفاعل المرويات السردية

¹ - نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، (مولدها وأثرها في الوجود القوم العربي العام)، دراسة تحليلية تطبيقية نقدية، دط، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2003 م، ص 27

² - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دط، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 30.

³ - سليمة بن النور، الرواية التاريخية بين التأسيس والضرورة، الموقع السابق.

التاريخية ظهرت روايات "جورجي زيدان" اسمها "روايات التاريخ الإسلامي" منذ صدور أول رواية له، ويعتبر النقاد والباحثون أن زيدان "هو الأب الفعلي للرواية التاريخية العربية ورائدها الذي مهد الطريق لغيره، وهو أول من أدخل هذا الفن الروائي للأدب العربي، والسباق بوضع تاريخ الأمة والتاريخ العربي الإسلامي، "وزيدان" هو الذي جعل الفن في خدمة التاريخ وغايته في ذلك هو التعليم خاصة تعليم الناشئة، وهذا ما نرصده في قوله: لقد رأينا بالاختيار أن نشر التاريخ على أسلوب الرواية أفضل وسيلة ترغيب الناس في المطالعة والاستفادة منهم وخصوصا وأننا نشتي جهدنا أن يكون التاريخ حاكما على الرواية، لاهي عليه كما فعل بعض كتبة الإفرنج ومنهم من جعل غرضه الأول تأليف الرواية، وإنما جاء بحقائق تاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة، فيجره ذلك إلى التساهل في سرد الحوادث التاريخية على حالها، وندمج في مجالها قصة غرامية تشوق المطالع إلى إتمام قراءتها"¹.

من خلال يظهر بأن "جورجي زيدان" لا ينظر إلى التاريخ على أنه أحداث فقط بل ينظر أحداث فقط بل ينظر إليه على أنه حضارة وعادات وتقاليد وأخلاق وآداب أي يسير على مظاهر المجتمع ونواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد مرت الرواية التاريخية في أدبنا العربي بثلاث مراحل واضحة المعالم وهي:

- **المرحلة الأولى:** مرحلة إعادة تأسيس التاريخ سرديا، مع محاولة للتقيد ولو من بعيد بمجريات تعليمية إجبارية كما ظهر ذلك في أعمال "جورجي زيدان".
- **المرحلة الثانية:** المرحلة الموازنة بين ما هو تاريخي وما هو فني، فالتاريخي يكتب فيقالب روائي واضح المعالم، ويحقق أهدافه ويستعرض وجهة نظره كما ظهر في روايات نجيب محفوظ" الأولى.
- **المرحلة الثالثة:** مرحلة استثمار التاريخ اسقاطيا واعيا، يرتهن التاريخ فيه إلى ما هو

¹ - جميل حمداوي، روايات حرب زيدان بين التاريخ والتسويق الفني، منير للثقافة والفكر، نقلا عن الموقع 24-03/

Www.diwanolalarob.com

فني بالدرجة الأولى، وفيه يتهيأ التاريخ قناعاً، والروايات التي سارت على هذا المنهج تسعى جاهدة إلى تفسير الواقع المعيش، من خلال الماضي المنقض الذي يمكن أن يعيد نفسه.¹

لكنها تهرب إلى فترات متشابهة للحظتها الحاضرة، فتقوم كما يسمى بـ «الإسقاط التاريخي»، كما لمسنا ذلك لدى "جمال الغيطاني" في (الزيني بركات و"روضى عاشور" وعبد الرحمان منيف" في الأرض السوداء).

إن الإصرار على العودة إلى الماضي أو الاندفاع نحوه له ما يبرره دائماً، لكن يجب أن تهتم هذه العودة أو الاندفاعية ضمن موازنة دقيقة تكفل للخطابين الروائي والتاريخي أن يتنافسا دون أن يتعارضا

الرواية العربية التاريخية كان لا بد أن تمر بهذه المرحلة، من أجل أن تصل إلى النضج الأدبي الذي يضمن لها الاستمرارية، وقابلية التلقي من طرف القارئ العربي، في تناسق تامة بين ما هو تاريخي وما هو أدبي تخيلي في قالب سردي روائي.

¹ - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، المرجع السابق ص123.

3- بين التاريخ والرواية:

إن علاقة التاريخ بالرواية علاقة وطيدة حيث: (تزامن صعود الرواية الأوروبية في القرن التاسع عشر مع صعود علم التاريخ "تكأ الطرفان على مقولة الإنسان الباحث عن أصوله"¹ لكن العلاقة الحقة: هي التي استوعبت فيها الرواية بنية التاريخ وضمنتها إلى نسيجها الخاص الداخلي، وقد حدد "لوكاتش" هذا النظام بانهايار تابليون" تقريب في مطلع القرن التاسع عشر مع ظهور رواية "والتر سكوت" توفيرلي" عام 1814م²، وإن كان ذلك لا ينفي وجود أسلاف لها قبل التاريخ المذكور.

أصبح الاهتمام بالنصوص السردية في الوطن العربي اليوم كبيراً وواسعاً وبالرواية على وجه الخصوص، سواء من حيث الكتابة أو الاهتمام النقدي، وحين نقول النقد فإننا نقول بشكل أو بآخر القراءة بكل مستوياتها إلى حد جعل بعض النقاد يعتبرونها "ديوان العرب في القرن العشرين"³.

وأخرج "جورجي زيدان" مجموعة من الروايات التاريخية التي أعادت الإسلام بأسلوب قصصي، لم يحاول فيها تخطي معطيات التاريخ، إلا بما أضافه من متخيل يحكي قصص الحب التي تجمع بين أبطال الروايات، يمكن القول أن "جورجي زيدان" من حيث استعادة التاريخ كما ورد في التاريخ خطي على نهج "والتر سكوت" الذي سار نحو الأبطال الكبار التاريخيين بنفس الطريقة التي قام بها التاريخ عندما استلزم ظهورهم"⁴. مواصلاً بذلك ما بدأ به "تسليم البستاني" قبله بطريقة أكثر تميزاً وفنية: "كان "تسليم البستاني" و"جورجي زيدان" يذهبان إلى التاريخ ليأخذا من على سطحه أحداثه التي كانت تطفو، ويشكلان منها عملاً روائياً يخدم التاريخ في أحداثه كما رواها التاريخ، لكنها مشكلة في عمل مترابط مشوق فيه

¹ - فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص 5

² - جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، م 1986، ص 11.

³ - عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، ط 1، المركز الثقافي، 2003، ص 297.

⁴ - جورج لوكاتش الرواية التاريخية، ص 41

خيـط غرامـي يشـد الـذاكرـة ويصـحيها من نومها إذا جنحت النوم"¹.

تتميز الرواية عن بقية الأجناس الأدبية بالانفتاح على غيرها، لأن مرونة هذا الجنس جعلته قادراً على استيعاب كم هائل من النصوص والخطابات والأشكال التعبيرية والطرائق والمستويات المختلفة، مما جعل منها نصاً متشعباً بكل المعارف الإنسانية والفلسفية والفنية والتاريخية، وهذا التقابل والتمازج هو الذي خلق منطق التجديد لدى الروائيين العرب بصفة عامة ولدى الروائيين الجزائريين بصفة خاصة، وكان التاريخ في مقدمة هذا التجديد الذي تجسد في الذاكرة الوطنية وذلك من خلال قراءتنا لنماذج روائية جزائرية استحضرت التاريخ كمادة خام ثم انزاحت عنه فأست نصاً روائياً بإبعاد جمالية متناسقة من حيث البناء.

شرح الناقد "غراهام هو" العلاقة بين الرواية والتاريخ فأكد أن: "كل الروايات تاريخية إذا أخذنا الرواية بمعناها العام، وهو ارتباطاً بالواقع المعيش وتصويره، لكن الرواية المعاصرة على الرغم من تنكرها للتاريخ لم تستطع أن تتخلى نهائياً، وما أقصى ما فعلته هو أنه كانت بدل من كونها حليفة ومعانقة له فالنصوص الروائية العربية الحديثة تتشكل، على إحدى العلاقات التي تقيمها مع التراث والتاريخ العربي القديم، حيث كانت هذه العلاقة منطلقاً لإنجاز أعمال روائية كانت من أبرز الفنون الإبداعية قدرة على وصف الواقع والتعبير عن جانب الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كافة، لذلك فإن ارتباطها بالتاريخ يجعلها المرجع الحقيقي والأصلي الذي نستطيع من خلاله قراءة التاريخ بشكل قد لا نقرأه في كتب المؤرخين التي قد لا تحمل المؤرخ أثناء كتابتها ما يحمله الروائي من أحاسيس وانفعالات وسيم لخفايا الذاكرة فالرواية هي تاريخ متخيل داخل التاريخ الموضوعي، كما سبق القول"².

إن التعامل مع التاريخ من حيث هو مكون روائي لا يعني اعتماد التاريخ بديلاً للتخيل فالرواية التي تبني على أساس تاريخي تشترك مع الرواية الأدبية بصورة عامة في وجود بنية

¹ - عبد الرحمان باغي، البحث عن إيقاع روائي جديد في الرواية، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1999، ص222.

² - محمود أمين العالم، الرواية بين زمننا وزمنها، مج فصول، عدد 12، مجلد 1، 1993، ص13

تاريخية تتأسس عليها، بمعنى وجود فضاء وأحداث وشخص كما في الواقع، إلا أنها تسمو فوق الواقع بما يضيفي عليه طابعا جماليا ينبض بالحياة الفاعلة، وكأنه واقع وليس شيئا مضى وانقضى، يصف "جورج لوكاتش" هذا النوع من الروايات بأنها "رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخ سابق"¹.

من خلال هذا التعريف نجد أن اللجوء إلى الماضي هو شيء مميز ومثير لإثارة الحاضر من خلال الماضي، وهذا يؤكد أن الرواية التاريخية في علاقة تماس من خلال العودة إلى الماضي، بغية إعادة إنتاجه مجددا، ربما لإحياء الذاكرة الجماعية أو إلقاء الضوء على العديد من القضايا التي بقيت مغمورة في الكتب والذاكرة، والصراع الذي يعيشه الروائي انبثقت منه روايات غيرت مسار الروايات العربية عامة والجزائرية خاصة.

إن التاريخ في المتخيل الروائي مادة يشكلها الروائي بلغته الفنية الحديثة، مركزا على ماسكت عليه التاريخ، والجميل في كل هذا هو طريقة توظيف الروائي لتلك الرؤية والتعبير عنها، من هذا المنطلق تتحدد معالم الرواية التي تعتمد على التاريخ فهي: «خطاب أدبي متخيل يشتغل على خطاب تاريخي منبثق سابق عليه انشغالا أفقيا، يحاول إعادة إنتاجه روائيا، ضمن معطيات آنية، لا تتعارض مع المعطيات الأساسية للخطاب التاريخي، وانشغالا رأسيا عندما تحاول إتمام المشهد التاريخي متوجه نظر المؤلف إتماما تفسيريا أو تعليليا، لغايات إسقاطه أو استنكارية أو استشرافية»².

إذن لابد أن تكون الرواية التاريخية الخام العمود الفقري، الذي تبنى عليه بقية الأحداث الروائية وتدور في فلكه، جاعلة منه هيئة العمل الأدبي، أما طريقة البناء فيتصرف فيها الروائي كثيرا وفق رؤيته كفنان، إذ لابد أن يتدخل ويعيد بناء هذه المادة مما يجعلها أدبا وليس تاريخا.

¹ - جورج لوكاتش الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد، ص 89 .

² - جورج لوكاتش، الرواية والتاريخية، ترجمة صالح كاظم، ص 89

الفصل الأول

مظاهر السرد التاريخي في رواية الكولونيل

الزبربر

- 1- التراتب الزمني
- 2- معالم المكان
- 3- الشخصية الروائية وملامحها التاريخية

1- الترتاب الزمني :

• ماهية الزمن في الرواية :

يعتبر الزمن هاجسا حقيقية في حياة الإنسان، لذلك حظي باهتمام كبير من قبل الفلاسفة والمفكرين إذ راحوا يتناولونه بالكورس محاولين فقه ماهيته، نظرا لكون هذا المصطلح متشعب الدلالات يمس العديد من جوانب المعرفة الإنسانية لعل أبرزها الخطاب الروائي، كما شكل الزمن محور جدال لدى الكثير منهم إذ يصعب الوقوف على مفهوم جامع له ولعل خير من عبر عن هذا التعقيد القديس أوغستين "augustin في كتابه الاعترافات les confessions حيث اعترف بعجزه عن تحديد ماهية الزمن وهو يجيب عن هذا السؤال: ما هو الزمن؟ عندما لا يطرح على أحد هذا السؤال فإني أعرف. وعندما يطرح علي فإني آنذاك لا أعرف شيئا"¹.

مثل هذا الاعتراف يؤكد حيرة العلماء والفلاسفة والكتاب والنقاد في تحديد مفهوم الزمن، والسؤال نفسه نبدأ به مدخلنا هذا: ما هو الزمن؟ وما هي مختلف الدلالات والمفاهيم التي يأخذها؟

إن مفهوم الزمن وحدود ماهيته لم يكن بالشيء الهين في الفكر الإنساني، إذ تحولت بذلك هذه المقولة إلى إشكالية شغلت بال الفلاسفة والعلماء، لكن على الرغم من هذا الإبهام اشتركوا في محاولة فهم هذا المصطلح ومنحه التعريف الممكن وضبطه، لكنهم اختلفوا في بلورة هذا المفهوم.

- مفهوم الزمن لغة: يعد مصطلح الزمن من أكثر المصطلحات التي اهتمت بها كتب التراث والمعاجم ومن بينها لسان العرب لابن منظور "حيث وردت مادة "زمن" على

¹ :Paul Ricoeur: Temps et recit. edi. Seuil 1983. T.I. P22

نقلا عن: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997، ص 61.

النحو التالي:

"الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزمن والأمان والعصر، والجمع أزمان وأزمان وأزمنة. وزمن زامن: شديد. وزنه الشيء : طال عليه الزمان (...)"، قال أبو الهيثم: (..) الزمان زمان الطب والفاكهة وزمان الحر والرطب، قال : ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر (...) ¹.

أما أبو هلال العسكري في معجم الفروق اللغوية، تناول مفهوم الزمن بقوله: "أن اسم الزمان يقع على كل جمع من الأوقات (...)" وأن الزمان أوقات متوالية مختلفة، أو غير مختلفة ²، فالعسكري يتعامل مع الزمن على أنه تتابع الأوقات زمنية.

كما تجدر الإشارة إلى أن اتمام حسان" قد فصل بين لفظتي "من" و "زمان" في قوله: "الزمان" هو الزمن الفلسفي الذي يعرفه الناس جميعاً، وهو يقابل كلمة Time في اللغة الانجليزية والزمن هو الزمن النحوي اللغوي، الذي يقابل كلمة Tense ³، لكن رفض هذا الفصل بين اللفظتين "فالزمن والزمان يردان في المعنى نفسه من غير تفريق" ⁴.

- مفهوم الزمن اصطلاحاً أما الشرط الثاني لمفهوم "الزمن" والمتعلق بالمفهوم الاصطلاحي فله معان شتى باعتباره من بين المفاهيم الكبرى التي شغلت الدارسين والباحثين ذلك أن "الزمن أو الزمان (أو le temps بالفرنسية، أو : time بالانجليزية أو، tempus باللاتينية أو tempo بالاطالية...) هو في التصور الفلسفي ولدي أفلاطون (Platon, 427- 348 av.J.C.) تحديداً كل مرحلة تمضي الحدث

¹ - ابن منظور، لسان العرب، الج 6، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3، 1999، ص 86.

² - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ص 270.

³ - ينظر: كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، دط، 2008، ص14.

⁴ - المرجع نفسه، ص 14.

سابق إلى حدث لاحق"¹ فالزمن عنده عبارة عن حركة الانتقال من حدث إلى حدث آخر دون العودة إلى الوراء.

والزمن عند أندري لاند (A.Lalande) هو "منصور على أنه ضرب من الخيط المتحرك الذي يجر الأحداث على مرأى من ملاحظ هو أبدا في مواجهة الحاضر"²، ومنه فإن لاند (A.Lalande) (ربط الزمن بالخيط المتحرك وليس ثابتا) الذي ينقل الأحداث شريطة وجود ملاحظ في لحظة الحاضر. وفي نظر غيو (Guyau) فإن الزمن لا يتشكل إلا حين تكون الأشياء مهيأة على خط بحيث لا يكون إلا معا واحل : هو الطول"³، يشترط (Guyau) في تعريفه للزمن خط الطول) تسير عليه الأحداث.

- مفهوم الزمن كينية سردية: بعد تعريفنا للزمن بشقيه اللغوي والاصطلاحي، سنتناول الزمن كبنية سردية لأنه يعد عنصرا مهمة من عناصر النص السردى فهو "محور البنية الروائية وجوهر تشكيلها"⁴، نتيجة الدور المهم الذي يلعبه في سير الرواية فلا يتصور عملا روائيا دون أن يحمل بين طياته زمنا. والرواية تحتاج إلى عناصر بنائية تستمدّها من الحياة حتى تنهض بفصول معماريتها وتتمثل هذه العناصر في: الشخصيات والأحداث والأمكنة والأزمنة، ولا يمكن أن نستشفها إلا من خلال عمل روائي متكامل العناصر.

وعلى الرغم من أهمية دور كل العناصر إلا أن الزمن يظل يحتل الصدارة من حيث الأهمية، إذ تتحرك هذه العناصر بحركته وتتوقف عن الحركة بسكونه، وإذا كان الفلاسفة والأدباء اختلفوا في تحديد مفهوم الزمن فإنهم اتفقوا حول تحديد أنواعه، ومن هنا نخلص إلى

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1998، ص172.

² .Platon, Timee, in Andre Lalande, op.cit, p172.

نقلا عن: عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية 172.

³ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص172.

⁴ - مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 36.

أن الزمن نوعين في الأدب هما: الزمن الطبيعي والزمني النفسي.

• أنواع الزمن:

- **الزمن الطبيعي (الكرونولوجي):** إن الزمن الطبيعي هو زمن غير متناهي الوجود يسير دائما نحو الأمام بحثا في سيلانه عن الآتي، فهو عبارة عن جريان منتظم¹، وهذا يعني أنه يسير إلى الأمام دون العودة إلى الوراء فهو أحادي الاتجاه و ليس له اتجاه معاكس، وهو إلى جانب ذلك "زمننا العام و الشائع (الوقت) الذي نستعين به بواسطة الساعات والتقويم وغيرها لكي نضبط اتفاق خبراتنا الخاصة للزمن بقصد العمل الاجتماعي والاتصال والتفاهم وغيرها (...)"².

ومن خلال ما سبق نقول بأن الزمن الطبيعي هو الإطار الخارجي للنص، لأنه أحادي الاتجاه يسير دائما إلى الأمام دون الرجوع إلى الوراء.

- **الزمن النفسي:** على عكس الزمن الطبيعي الزمن النفسي لا يقبل القياس، فهو الزمن الذاتي المتصلى بوعي الإنسان، وهو نتاج تجارب الأفراد، إذ لكل فرد زمنه الذاتي الخاص "نتاج حركات أو تجارب الأفراد وهم فيه مختلفون، حتى إننا يمكن أن نقول إن لكل منا زمنا خاصا يتوقف على حركته وخبرتها لذاتية، فالزمن النفسي لا يخضع لقياس الساعة، مثلما يخضع الزمن الموضوعي وذلك باعتباره زمنا ذاتيا يقيسه صاحبه بحالته الشعورية (...)"³، يختلف إحساسنا بهذه الخبرة الذاتية والحالة ولعل هذا ما جعله أزمنة نسبية داخليا يقدر بقيم متغيرة الشعورية لأن لكل منا زمنه

¹ - وهيبة بوطغان، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، 2008-2009، ص 37 نقلا عن: جريدة يحيواي، البنية الزمانية والمكانية في رواية زقاق المدن، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي حديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015، ص4.

² - مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص 22-23.

³ - مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية ، ص23.

الذاتي الخاص باستمرار¹.

والزمن النفسي على عكس الزمن الطبيعي يسمح للإنسان بحرية التنقل بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهو ما مكن الإنسان من كسر خطة الزمن.

تجدر الإشارة إلى أن الشكلايين الروس هم الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب²، والذين اشتغلوا على الزمن في الرواية، وأدرجوه في دراساتهم السودية ومؤوا بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، يقصد توما شفسكي بالمتن الحكائي مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل. وأن المبنى الحكائي يتكون من الأحداث نفسها، لكنه يراعي نظام ظهورها في العمل كما يراعي ما يتبعها من معلومات تها لنا³، بمعنى أن المتن الحكائي (FABLE) هو المادة الأولية للحكاية في حين أن المبنى الحكائي (SUJET) هو نظام الأحداث نفسها داخل الخطاب.

وعلى الرغم من أن الشكلايين الروس كانوا الأوائل في دراسة الزمن كمقولة أدبية، إلا أنه ظهرت محاولات جديدة لتحليل الزمن في الرواية اعتمادا على تصورات الشكلايين الروس من خلال تطويرها أكثر، لعل في مقدمتها محاولات كل من "رولان بارت" و "تودوروف" و "جيرار جنييت". مكلمنيا " دوروف وج لقد انطلق "جيرار جنييت" في دراسته للزمن الروائي من نفس الثنائية التي أشار إليها الشكلايون الروس، فيما يخص المتن والمبنى الحكائي، وعبر عنها بزمن القصة وزمن الخطاب.

وفي دراسة "تودوروف" للأزمة يؤكد عدم التشابه بين زمن الخطاب وزمن القصة الزمن الخطاب هو بمعنى من المعاني زمن خطي في حين أن زمن القصة هو متعدد

¹ - أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 25. د- 53.

² T.Todorov:Qu'est ce que structuralisme ?2.poétique Ed seuil 1968.p

³ - نقلا عن :حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص107.

الأبعاد. ففي القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد، لكن الخطاب ملزم بأن يرتبها ترتيباً متتاليين يأتي الواحد منها بعد الآخر¹.

فيما بعد رأى تودوروف " أن هناك تعدد في الأزمنة التي تتداخل في الزمن الواحد:²

1. أزمنة داخلية: يقسمها تودوروف " إلى ثلاثة أصناف هي:

-زمن القصة le temps de l'histoire

-زمن الكتابة أو السود le temps de l'écriture

-زمن القراءة le temps de la lecture

. أزمنة خارجية:

-زمن الكاتب

-زمن القارئ

-الزمن التاريخي

أما "جيرار جنيت" الذي توصلني من خلال بحثه إلى بداية جديدة في تحليل الخطاب الروائي عموماً وتحليل الظاهرة الزمنية خصوصاً، فقد جاءت دراسته تلخيصاً لما أسفرت عنه الدراسات السابقة، إذ وضع نظرية متكاملة انطلاقاً من دراسته لرواية "بحثاً عن الزمن الضائع" لـ"مارسيل بورست" من خلال كتابه "خطاب الحكاية"، وقد توصل في دراسته هذه إلى أن العمل الحكائي يتشكل من زمنين: زمن الدال وزمن المدلول، ومن هنا فإننا سنعتمد مشروع "جنيت" بالدرجة الأولى في دراستنا للزمن في رواية "كولونيل الزبربر".

¹ - تزفيطان تودوروف، طرائق تحليل السود الأدبي (مقولات السود الأدبي)، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 1992، ص 55.

² Todorov et Ducrot, dictionnaire , Paris, Ed le seuil 1972 P :400 et 404_2

encyclopedique des sciences du language نقلاً عن : (ينظر) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص114.

حاول "جيرار جينات" دراسة العلاقات الموجودة بين زمن الحكاية وزمن الخطاب بحسب علاقات ثلاث "الترتيب المدة التواتر"¹:

- **الترتيب الزمني**: ويرتبط بالعلاقات التي تقوم بين التتابع الفعلي للأحداث داخل الخطاب وترتيب الأحداث نفسها في الحكاية.

- **المنة**: وتتعلق بالعلاقات الموجودة بين مكة الحكاية ومنة الض.

- **التواتر**: ويدرس مجموع العلاقات بين نسب تكرار الحدث في الحكاية ونسب تكراره في الخطاب.

2- المعالم المكانية:

يمثل المكان بالنسبة لكل إنسان بطاقة هوية، ووثيقة إثبات الانتماء، التي يدافع عنها ويحارب من أجلها، هذا ما جعل المكان يكتسب قدسية ستعصمه من أي زوال، لذلك أعتبر هذا العنصر الروح والذاكرة التي يحيا بها كل إنسان.

ولخصوصية المكان وأهميته في حياة البشرية، فقد أولاه الكتاب و النقاد اهتماما ولكن ليس بالقدر الكافي، بحيث أننا لم نجد كثير الدراسات النقدية التي خطته بدراسة شافية وشاملة لكل جوانبه هذا ما أكدّه (عبد المالك مرتاض) في كتابه " في نظرية الرواية " حينما قال : « على الرغم من أهمية الحيز " وجماليته في أي عمل سردي عموما، وفي أي عمل روائي خصوصا، فإن لم نر أحدا من كتاب العربية، ممن اشتغلوا بنقد الأدب الروائي، أو التنظير للكتابة الروائية، خصص فصلا مستقلا لهذا الحيز (أو ل«الفضاء» بالمصطلح الشائع في النقد العربي المعاصر) ما عدا "حميد لحميداني" الذي

¹ - جيرار جينيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر، ط2، 1997، ص17

اختص هذه المسألة بفصل مستقل تحت عنوان : الفضاء الحكائي»¹، وأما (حميد الحميداني) فيقول في هذا الصدد: «إن المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية، بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم»² وهذا يمكن القول إن: «المكان تجاوز بعده الجغرافي واكتسب أبعادا فلسفية وثقافية بفضل تفاعله مع الإنسان فنحت كل منهما ملامحه في الآخر، ومثل المكان بذلك تاريخ الإنسان وذاكرته الزاخرة بهوموم وأساراه وموقفه وعناصر شخصيته، وأسهم في نمو الشخصية داخل العمل الروائي»³، لذلك أوليناه اهتماما في دراستنا.

2-1- ماهية المكان الروائي:

أ- مفهوم المكان الروائي (Le Lieu romanesque):

* يورد عبد المالك مرتاض مصطلح (الحيز) معنى مجموع الأمكنة أو بمعنى الفضاء. " الفضاء Espace: من بين المصطلحات المتداخلة مع مصطلح المكان وسنفرق بينهما لاحقا.

يمثل المكان (lieu) في العمل الروائي دورا جوهريا، فهو الملعب الذي تجري فيه أحداث الرواية والحيز الذي تدور فيه الشخصيات، وهو « الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متاخلا بالعمل الفني، المكان هو "الجغرافية الخلاقة" في العمل الفني»⁴ ويختلف المكان في الروايات التاريخية عن باقي الروايات؛ لأنه يكتسب ميزة الزمنية؛ أي الحديث عن المكان التاريخي مرتبط بوجود حقبة زمنية مرت عليه، وبالتالي « يتسم المكان التاريخي بكونه

¹ - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع240، الكويت، ديسمبر 1998، ص 125، 126.

² - حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص70.

³ - جمعة طيبي: دلالة المكان والزمان في الرواية الجزائرية، منشورات مقاربات ، ط1، فاس، المملكة المغربية، 2010، ص18.

⁴ - ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، سوريا، 2010، ص50.

متجذرا في الزمن، ومستمدا حيويته وديمومته من اندماجه الزماني»¹، هذا ما يؤكد قولنا السابق بفكرة تداخل المكان مع باقي العناصر السردية المتواجدة في الرواية ومن بينها الزمن.

ب- الفرق بين المكان (lieu) والفضاء (espace):

يشهد مصطلح المكان (lieu) تداخلات مع مصطلحي الحيز أو الفضاء (espace)، ولعل هذا الأخير أكثر المصطلحات استعصاء على الضبط والتمييز بينه وبين المكان لتشابههما واختلافهما في نفس الوقت؛ حيث إن «الفضاء الروائي والمكان الروائي مصطلحان بينهما صلة وثيقة وإن كان مفهومهما مختلفا، فإننا نقصد بالمكان المكان الروائي (le lieu l'Espace) المفرد ليس غير، ونقصد بالفضاء الروائي (le roman l'espace) إمكانية الرواية جميعها. بيد أن دلالة مفهوم الفضاء لا تقتصر على مجموع الأمكنة في الرواية، بل تتسع لتشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة ولوجهات نظر الشخصيات فيها»². وهذا يغدو الفضاء أشمل من المكان؛ لأنه يحتوي المكان والأحداث التي تجري في الرواية، وكذا الشخصيات والمساحة التي تلعب فيها.

ويرى جينيت (G. Genette) وآخرون: «أن استعمال الفضاء يتعدى بكثير بمجرد الإشارة إلى مكان من الأمكنة»³. ونستشف من هذا القول أن ضبط المصطلح مرتبط بالرواية ومدى توظيفها للمكان، فإن اعتمدت مكان واحد سمي مكانا، وإن تعددت وتوزعت الأحداث على عدة أمكنة، فإننا نشهد انفتاحا أكبر من المكان وأقرب للفضاء.

أما الناقد حميد لحميداني فيرى أن الفضاء يتخذ أربعة أشكال :

أ. الفضاء الجغرافي **L'espace géographique** : وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد

¹- حسن سالم هندي إسماعيل: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسات في البنية السردية)، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2014، ص 232.

²- اسمر روجي الفيصلي: الرواية العربية البناء والرؤيا، ص 74.

³- جنيت وآخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، (د ط)، المغرب، 2002، ص 20، 22.

- عن طريق الحكي، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون .
- ب. الفضاء النصي **L'espace tesctuel**: اهتم به ميشال بوتور (M. Butor)، وهو فضاء مكاني أيضا، غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكاية .
- ج. الفضاء الدلالي **l'espace semantique**: وصاحبه جيرار جنيت (Genette) ويشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد، ويرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.
- د. الفضاء كمنظور أو رؤية **Espace comme vision**: ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي، بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح.¹
- وحسب التقسيم فإننا نلاحظ أن النوعين الأول والثاني من الفضاء يقتربان من مفهوم المكان، فالأول هو مساحة مكانية محددة، أما الثاني فهو أوسع من الأول؛ لأنه يشمل مساحة الكتابة الروائية ولا يتعلق بالمكان الذي تتحرك فيه الشخصيات فقط، بينما نجد النوعين الآخرين بعيدين عن مفهوم المكان، إذ يرتبط النوع الثالث بالصورة التي يخلقها الحكي، أما النوع الرابع فيرتبط بالراوي وطريقة نسجه الحكائي.

2-2- وظائف المكان الروائي:

لا بد لكل حدث أن يقع في أماكن معينة «وكما أشرنا سابقا، فإن دراسة المكان الروائي سواء أكانت في الرواية الغربية أم العربية، لم يقدم مقارنة وافية ومستقلة لعنصر المكان باعتباره عنصرا فعالا من العناصر المكونة للنص، فالمكان في الرواية العربية لم يؤد دوره، ولذلك ينبغي البحث عن وظيفة هذا العنصر الهام». ومن خلال التمعن في أهمية

¹ - ينظر : حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص 62.

المكان والدور الذي يؤديه في رواية (الجنرال خلف¹

الله مسعود) ل: محمد الكامل بن زيد، يمكن تصنيف المكان وفق وظيفتين هما:

2-2-1- الوظائف الخارجية:

إن الوظيفة الخارجية التي يؤديها المكان لا تلعب دوراً أساسياً في حبكة الأحداث، ولا في أدوار الشخصيات، إذ «ينزاح عن التحكم في مجرى سريان الأحداث الروائية والتأثير في الشخصيات وعلاقتها، والكشف عن مشاعرها ورؤاها وعن التدخل في مسار الحكي، ولذلك تبقى صلة هذه الوظائف المنجزة بمحتوى الحكاية عرضية، وليست جوهرية»²، وعليه فقد ألفينا أن الوظائف الخارجية للمكان في رواية الجنرال خلف الله مسعود (الأمعاء الخاوية تقوم على:

أ. الوظيفة المعرفية:

تتمثل هذه الوظيفة أساساً في تقديم البيئة في المستويات الاجتماعية والاقتصادية التي تحيل عليها الأماكن بسماتها المختلفة»³، أي تساهم في عرض الحالة العامة للمكان اجتماعياً واقتصادياً. فعلى المستوى الاجتماعي لعب المكان في الرواية دوراً بارزاً في تقديم عادة اجتماعية هي التضامن والتآزر، وهذا من خلال (ساحة لأكور) التي ضمت الجنرال الذي كون فيها جيشه من المتسولين «لقد أتى بما لم يأت به أحد قبله.. فقد جعلهم كجسد واحد لهم.. لون واحد.. عملة واحدة ولغة واحدة». لقد أرسوا في هذا المكان قواعدهم الخاصة المبنية على الحب والتسامح والصدق «أذهلني بصدق نبراته.. بصدق السحر الذي يتبادلهم معهم.. هوس يخلد الارتباط الوثيق.. تحيات من كل ناحية». ومن جهة أخرى يمثل المكان

¹ - صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد، الأردن، 2010، ص58.

² - أحمد مرشد: البنية والدلالة (في روايات إبراهيم نصر الله)، الموسمية العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص211.

³ - المرجع نفسه، ص211. : الرواية: ص17. 4 الرواية: ص18

في هذه الرواية ظاهرة اجتماعية جسدت: العنف والقتل والاغتصاب، حيث أراد (محمد الكامل بن زيد) أن يكون لتوظيفه (للجبل) مغزى آخر هو تحول هذا المكان إلى رمز التعذيب والألم: «رأيت رؤوسا تحز عن أجساد أصحابها وترمي في أي مكان .. رأيت أطفالا صغارا يقتادون إلى ما وراء الأشجار، حيث الظلام الدامس.. رأيت الصبايا وسمعت صراخهن وهن يؤخذن سبايا بكل وحشية»¹، فكل هذه الصور وأبشع منها حدثت في ذلك المكان - الجبل - . بالتالي أفصح المكان في الرواية عن قيم اجتماعية متضادة بين التضامن والتعاون والوحدة، وبين العنف والقتل واللارحمة.

أما على المستوى الاقتصادي فقد «أسهم المكان في تقديم تحليلات الوضع الاقتصادي الذي يعيشه المجتمع الروائي نظرا للعلاقة القائمة بين الاقتصاد والمجتمع، هذه العلاقة هي التي تحسد مصداقية الحياة الإنسانية المعاشة في المكان التخيلي»². ويتمثل هذا في الوضع الاقتصادي المزري الذي يعيشه (الجنرال) والمشردين «فيما بقي العديد بالقرب من مرقده، المتكون من بقايا كرتون وقطع البلاستيك والقش القديم»³، إذ عبر المكان عن مستوى مادي سيئ.

ب. الوظيفة النقدية:

تتمثل هذه الوظيفة في جعل المكان، وسيلة لتحقيق وظيفة نقدية يكون من خلالها تقديم جملة من الآراء السياسية والفكرية المتعلقة بالمجتمع انطلاقا من مواقف الروائي والمكان بإنجازه لهذه الوظيفة يكون متساوقا وإيديولوجية الروائي⁴، وعليه يحمل المكان في الرواية وظيفة نقدية تبعا للحالات النفسية التي تنتاب الروائي (محمد الكامل بن زيد) حين انتقد وضع مدينة عنابة أثناء العشرية السوداء، بانتقاده لأهلها أو الذين ساروا وراء ذلك المنادي

¹ - الرواية: ص 91.

² - أحمد مرشد: البدنية والدلالة وفي روايات إبراهيم نصر الله، ص 213.

³ - الرواية: ص 21.

⁴ - ينظر: أحمد مرشد: البدنية والدلالة (في روايات إبراهيم نصر الله)، ص 215.

المجهول الذي يهدف إلى تحطيم المدينة والزج بها داخل أنفاق مظلمة «وما يحز في نفوس أهل المدينة .. أن في الجماعات من كان جاره أو رفيقهم في الدراسة أو زميلهم في العمل.. فهم يعرفونهم حق المعرفة»¹.. لقد شكل المكان بالنسبة للروائي (بن زيد) مركزاً يبت عبه آرائه السياسية وإيديولوجياته الفكرية والاجتماعية، أراد أن يعبر عن امتعاضه الشديد إزاء المحنة التي تعرض لها الوطن.

ثم ينتقل من الداخل إلى الخارج، إلى قضية سقوط العراق والحضارة البابلية. فقد عبر الروائي بكل ألم وتحسر، وانتقاد لوضع سياسي قلب حياة أمة بأكملها: «الحصار الذي أتى على اليابس قبل الأخضر، وعاث في الأرض فساداً.. جنة الخلد.. جنة بابل صارت حكاية وهمية.. أسطورة تسرد الأطفالهم قبل النوم»²، هكذا صور لنا الروائي زوال الحضارة البابلية واندثارها .

2-2-2 - الوظائف الداخلية:

إلى الوظيفة الداخلية التي يؤديها المكان لها دور فعال ومهم في سيرورة الأحداث على عكس الوظيفة الخارجية؛ حيث إن «المكان بانجازه لهذا النوع من الوظائف، يلعب دوراً أساسياً في التحكم بمجرى سريان الأحداث الروائية، والتأثير في الشخصيات الروائية، بالكشف عن مشاعرها وتحديد علاقاتها»³. وتقوم الوظائف الداخلية للمكان على عنصرين أساسيين، هما:

¹ - الرواية: ص 27.

² - الرواية: ص 56.

³ - أحمد مرشد: البنية والدلالة (في روايات إبراهيم نصر الله)، ص 218.

- الفضاء باعتباره منظور: ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الروائي بواسطته أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرحية.¹

فالفضاء بهذا المفهوم يغني المساحة المكانية، والمكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخصية التي يندرج فيها. فالمكان بهذا المفهوم يتحول إلى شبكة من العلاقات والروايات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث، ولهذا أصبحت البنية الخاصة والعلائق المترتبة عن ذلك تجعل من المكان الهدف من وجود العمل الروائي في بعض الأحيان. فالمكان شديد الارتباط، ليس فقط بوجهات النظر والأحداث والشخصيات، ولكن أيضا بزمان القصة.²

- وبناء على ما تقدم يمكن القول أن المكان هو مكون الفضاء ولأنه متعدد الأوجه والأشكال، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا إنه الأفق الرحب الذي يجمع جميع الأحداث الروائية.

- إن الفضاء الروائي، مثل المكونات الأخرى للسرد، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح أي عن كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع، إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتابة ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي

- كما يرتبط الفضاء الروائي بزمان القصة فإنه يقيم صلة وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص، وتأتي في مقدمتها علاقته بالحدث الروائي والشخصيات، وظهورها ونمو الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد على تشكيل البناء المكان في

¹ - تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، إبراهيم عباس، مرجع سابق، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 33.

النص، فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له، وليس هناك مكان محدد مسبقا إنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال.

- ومنه إن الفضاء في الرواية ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث، أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة فيها

2-3- أنواع الأمكنة :

• المكان المفتوح:

- **المدينة :** في : رواية كولونيل البربر " ، يأتي ذكر مدينة الجزائر العاصمة، رقان، سور الغزلان، تندوف، عين النعجة، عنابة، قسنطينة، وهران، البليدة،... في السياق لإظهار الظروف الاستعمارية التي كانت تعيشها الجزائر أثناء الاحتلال وإظهار الفارق بينها وبين القرية "الدشرة" حيث كان جبل البربر الشامخ وإبراز مسألة العلاقات الاجتماعية المعقدة. وحرية الحركة بالنسبة للشخصيات، وخاصة شخصية البطل "كولونيل الزبربر".

- **القرية والمدشر :** يصف الكاتب القرية أنها أماكن التي يعيش فيها معظم السكان في الحيز المكان الذي يشغله الفقراء المعدمين من الجزائريين الذين حتمت عليهم ظروف الحياة القاسية، والسعي نحو الحرية حيث احتضن السكان الثورة التحريرية لأجل الاستقلال، " هناك في أرض آبائه ، أجدادي بما كانت تحمله فصول السنة الجميلة، حتى في قسوها، مع أقرانه يتعلمون بين المدرسة القرآنية وبين المدرسة الفرنسية يمشون ويركضون في آفاق لا تحدها سوى الغابات البعيدة وجبل الزبربر الداني...".¹

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص56

من الأماكن التي تنتقل فيها الشخصيات في الرواية، القرية والمدينة والجبال التي توجد فيها الكهوف المعتمة "الكازمة مخبأ تحت الأرض يلتقي فيها المجاهدين من كل مكان، محدثين بذلك حركة غير عادية داخل الغابات المحيطة بالجبال، فهو يعكس الوجه العام للثورة التحريرية في الجزائر .

- **الجبل:** هذه الجبال الشامخات الشاهدة على كل صغيرة وكبيرة عن هذه الثورة المباركة، هو مكان إذ يجمع كل التناقضات من أخبار وأسرار وخطط وقتل وتعذيب... ليس فقط من طرف المستعمر بل من طرف المجاهدين الجزائريين بعضهم لبعض أيضا إلى طرح المكبوتات وكسر التابوهات، فقد جاء في مقطع من الرواية، عند مغادرة كولونيل الزبربر الجبل في آخر عملية مسلحة له، فنطق في سفح الزبربر "يا جبل اتحملت بصدرك، مثل أب خرافي، جحيم النبا لم وكل أنواع القنابل وأحجامها سبع سنين ونصفه. فكان لك أن تهدأ بعدها ثلاثين عاما. وها أنت تفزع لهذا الاقتتال العبثي"¹.

ولما كان جبل الزبربر يقع في قاعدة هرم تراتب الفضاءات الذي يأخذ به التصور، فقد انعكس ذلك على وضعه وجعل منه المكان المفتوح بامتياز كما أكسبه صفة تمثيلية لا سبيل إلى الطعن في مصداقيته. فليس هناك في الحقيقة ما هو أكثر تعبيراً وإفصاحاً عن دلالة المكان الذي يعيش فيه أبطال الرواية الذي يبدو عند مقارنته بالمرافق الأخرى، وكأنه يختزل جميع القيم والدلالات التي ينهض عليه الجبل كفضاء مفتوح معد للإقامة فيه.

- **المقهى:** تعتبر المقهى مكان مفتوح يلجأ إليه الناس قصد الترفيه عن النفس أو الهروب من البيت، فالمقهى مكان لنشر الأخبار وكسب المعلومات خاصة في فترة الاحتلال بالنسبة للجزائريين، فتداول أخبار الثورة على لسان الناس وتعرف أحوال

¹ - المرجع نفسه، ص 51.

المجاهدين، ومعرفة ما سوف يحدث من بعد.

وإلى جانب الغابات والجبال تلعب أماكن أخرى في القرية أدوار مشابهة من حيث الوظيفة كالمقاهي والأحياء والشوارع التي تعتبر أماكن انتقال و مرور نموذجية، فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحة الغدوها ورواحها.

• المكان المغلق :

- البيت: هو الفضاء المغلق الذي ينتقل ويعيش فيه البطل كونه امتداد للحيز المكاني، أقل حجما ويتسم بالضيق وقلة الشخصيات التي تشغله هذا الفضاء الذي يعيش فيه البطل هو والابنة بعد استقلال الجزائر " فهاهو كولونيل الزبربر كما كتب، وسط الفراغ، ساكت ساكن على كرسيه الطويل هنا في جنيئة الفيلا... هي تساوى بقية الفيلات المجاورة في حي يوصف بالراقي في أعالي العاصمة... مكونة من طابق أول فيه حمام وثلاثة غرف بثلاث شرفات إحداها مطلة على الخليج والثانية على غابة الصنوبر والأخيرة على الجنيئة ومن طابق سفلي يحتوي مطبخ وصالة وجوة وغرفتين، حول إحدهما إلى مكتبة، ودورة مياه وقاراج، ومن حوش واسع يعطي ثلث المساحة داخل الجنيئة، حيث يجلس صيفا إلا نادرة تحت شجرة مسك الليل..."¹.

هذا هو المكان الذي كان يتجول فيه البطل لاسترجاع ذكرياته، ويكتب مذكرته على جهاز الحاسوب بعزلة وبمراقبة من ابنته "طاوس" من الشرفة. ففي هذه الرواية تتوطد علاقة البيت بالبطل "كولونيل الزبربر" وتأخذ طابعا حميمة حيث يطلق فيه الحرية لمخيلته الواسعة كي يستحضر الذكريات الماضية والحلوة منها والمؤلمة وتضع الصورة الأسطورية والخرافية وتقيم مشاهد الحلم والرؤيا، هو المكان الأمثل إذا الذي يتحصن به البطل ضد الماضي المأساوي، وزيف الواقع حيث يأتي انعكافه على كتابة مذكرته في هذا الحيز كعامل مساعد لتجاوز ذلك

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص 21.

الواقع، ووصف الكاتب البيت وصفا دقيقا.

- **الزنزانة:** إن المتأمل في فضاء السجن، بوصفه عالم مفارقة لعالم الحرية خارج الأسوار، قد شكل مادة خصبة للروائيين، فالسجن كفضاء معد لإقامة الشخصيات خلال فترة إقامة جبرية، غير اختيارية في شروط عقابية صارمة.

وسيشكل السجن نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل، ومن العالم إلى الذات بالنسبة للنزيل بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات وإثقال لكاهله بالإلزامات والمحظورات.¹

"لذلك نزل إلى حي باب الواد من غير إذن مسبق، ... فألقت عليه الشرطة العسكرية القبض في ماخور ربيكة، خلال نزلة مباغته... أن النقيب ليحيى بدل أن يأمر بتعذيبه لانتزاع المعلومات الممكنة... ثم خيره بين أن يغوله، كما بلغة الزبانية، في الزنزانة المنفردة في انتظار تعريضه لحصص التعذيب والاغتصاب والموت الحتمي الذي يلي، وبين أن يتعاون معه...".²

"في لحظة النزاع حول طريق قتله، كان قائد الحامية خرج من مكتبه فأمر باقتياد الأسير إلى الزنزانة خلال الطريق إليها. كان العسكري الذي نزل من على الشجرة حمل قطعة سلك شائك، جرى خلف محمد، ركله في أسفل ظهره انهال عليه ضربة...".³

كان حُويل تحدث من قبل لمولاي بوزقزة عن الأسير زياد. ها هو يروي عنه أنه كان على الأرضية، مكبل اليدين والرجلين، عارية تماما. ذقنه يصطفق من شدة برد القاعة الرطبة، لا رعبة من المرحلة الثانية من التعذيب".⁴ وصف الكاتب كل أشكال التعذيب التي تحصل للجزائريين من طرف الاستعمار في الزنزانة وأعطى الوصف الطبوغرافي الفضاء الزنزانة،

¹ - بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، حسن بحراوي، مرجع سابق، ص 55.

² - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص 121.

³ - المرجع نفسه، ص 140.

⁴ - المرجع نفسه، ص 143.

متناهية الضيق وسيئة التهوية الأرضية متسخة وباردة ومظلمة.

- **الكهف:** الكهف هو مكان معتم مظلم في عمق جبل الزبربر الذي كان في زمن الاحتلال ملجأ المجاهدين ومسكنهم، حيث كان الكهف يعبر عن حالتهم النفسية، فكان بيت الوحدة ومذكرة وسجل ليوميته الثورية . جاء في الرواية عن "بوزقزة"، "تم راح يتوارى في تلاش بطيء. فهتف من خلفه" سنزف لك هذه الأرض لتكون ذاكرتك". لحظة تأمله الآن، داخل الكازمة المعتمدة، فيما سيكون عليه يوم آخر من أيام الإصرار والخوف".¹

3- الشخصيات التاريخية:

قدم لنا الروائي الحبيب السائح من خلال روايته "كولونيل الزبربر" رؤية تاريخية واقعية الأحداث وقعت في الجزائر اجتاحتها فرنسا، ولقد استطاع الروائي من خلال رؤيته التاريخية الواقعية أن يقدم الكثير من المعلومات والأفكار عن بلاد الجزائر، وقد ذكر أسماء وأبطال ملحميين ومجاهدين في سبيل الوطن وصور لنا ببراعة المقاطعات والمدن والقرى الصغيرة التي كانت شاهدة على زمن الاحتلال، وأحاط بالحوادث التاريخية الهامة في حياة الشعب الجزائري، وقدم أبطال تحمل فكريا ثوريا ووطنيا ودينيا استطاعت أن تواجه الخطر الاستعماري المتمثل في الأطماع الفرنسية.

إن الرواية تحمل عدة شخصيات، ومن الشخصيات التي تحمل دورا كبيرا في أحداث الرواية شخصية "البطل"، فمن أجل استمرار الصراع إلى النهاية يجب أن تكون هناك شخصية البطل محورية من ذلك الطراز القوي العنيد الذي لا يقنع بأنصاف الحلول، فإما أن يبلغ كل ما يريد أو يتحطم، وغالبا ما يكون التطور في هذه الشخصية أقل في غيرها من الشخصيات، لأنها تكون من البداية قد بلغت أوج كمالها ونضجها.²

¹مرجع نفسه، ص 61

²الشخصية الروائية بت علي أحمد باكثير ونجيب كيلاني، دراسة موضوعية وفنية، نادر أحمد عبد الخالق، دار العلم

• البطل جلال الحضري:

تظهر شخصية "كولونيل الزبربر" بطل الرواية، مع بداية الفصل الأول من الرواية، وذلك لإبراز أهميتها وتأكيد خطوتها بين الشخصيات العديدة التي تؤهل الرواية ليقتنص الكتاب فرصة ملائمة لتقديم شخصيته تلك ورسم العلاقات التي تندمج فيها مع الآخرين، وذلك حين يصوره أثناء انهماكه على الكتابة في غرفة منعزل العالم الذي يعيش فيه بعد تقاعده بمراقبة من طرف ابنته "طاوس" له من بعيد.¹

"أقل إحساسي على صورة والدي . كولونيل الزبربر، كما يلعب، في لحظة عكوفه على كمبيوتر فوق ركبتيه... ثمة، إذ قام من كرسيه الطويل، حاملا كمبيوتره، تصورته أسدا متعبا". واصفا إياه بصفات اختارها له ليكون النموذج المثالي لبطل ملحمي واثقا من أنه هو الذي يستحق هذه المرتبة، فهو أكثر ما يكون أبا مثالي وسخي صبور وفخور بأبنائه، وما يكون عليه أي بطل يحبه الجميع ويعترف به الجميع حتى العدو. فارسا هماما نزل للتو من على حصانه فهو يمتلك قوة جذب سحرية لا يستطيع معها الشجر إفلاتا.

فالبطل جلال شخصية ثورية مناضلة رمزية تحكي قصة كفاح الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي، ترمز إلى الواقع المرير الذي عاشته الأمة الجزائرية إبان الاحتلال، ترمز إلى الشعب الذي يصبر ويتألم، لكنه يهب لنجدة بلاده متناسيا أحزانه الذاتية.

"قبل تسعة وأربعين عاما كان والدي "جلال" دخل مدرسة أشبال الثورة فأكسبه حياته العسكرية الميدانية لقب "كولونيل الزبربر"، رتبة سامية رقي إليها قبل ستة أعوام بذال النعت، ليس نسبة إلى لقبنا العائلي ولكن، كما أشاع ذلك عن جنود فصيلته وسجله جنرال نعيم رزاز ذاته في تقريره²

الإيمان للنشر كالتوزيع، دط، 2009، ص 99_239

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص 14،

² - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص 20.

وقد أطلق اسم "كولونيل الزبربر" على البطل "جلال" لكونه أول من اخترق حواجز الجماعات المسلحة ونصب لها الكمائن وفك أسيجه ألغامها المزروعة واخترق تحصيناتها في جبل الزبربر، وقاومها بكفاءة قتالية. فاستحق بشرف رتبة مقدم، وقبلها رائد. البطل "جلال" هو بمثابة الشاهد على الأحداث والثورات التي وقعت في البلاد، وقد جعل منه الكاتب راويا للوقائع والأحداث ووصفا لكثير من الأشخاص بصفته قد شارك في معظمها وعرف الكثير من أبطالها فقدم نفسه في الرواية موضحا مكوناته الثقافية والعلمية والدينية والبيئة التي نشأ فيها ومعلقا في بعض الأحيان على مشاعره ومواقفه تجاه الحدث.

وتعبر الرواية عن صورتان للبطل "جلال"، الصورة الأولى تكشف عن معاناته وتمزقه وشتاته بسبب موت زوجته "باية" وقتل ابنه "ياسين"، أما الصورة الثانية تعبر عن الحقد الذي كان يكنه للجماعات المسلحة بسبب طغيانها وهيمنتها وفرض سيطرتها على الجزائر، فبالرغم من كل إلا أن "جلال" كان يحمل أمل يوحى بالنصر والخلاص من العدو، فشخصية البطل "جلال" تحمل الجانب الإيجابي الذي يأبى الظلم القهر.

• البطل مولاي الحضري:

شخصية البطل "بوزقزة" شخصية ملحمة ثورية تعد من الشخصيات الرئيسية التي لعبت دورا كبيرا في أحداث الرواية فقدمها الروائي الحبيب السائح ومهد لأسباب بطولتها في هذا الميدان، ويرجع ذلك إلى فهم الشخصية لطبيعة الحياة وإيمانها العميق بأن الموت حقيقة تنتظر الجميع، وأحاط الكاتب شخصية البطل الملحمي "بوزقزة" بهالة وطنية وكفاحية أشبه بالأسطورة هدفها الدفاع عن الوطن والاشتراك في المعارك الحربية ضد الاستعمار.

كان مولاي الحضري الأب الذي سأكون حفيدته، رجع إلى البيت العائلي بكنية ابوزقزة...نسبة إلى الجبل الصخري ذي اللون الأزرق: زقزة، كما في اللغة الأمازيغية، ثمة

في مرتفعاته، كان حقق ضمن "كومندو" عز الدين" وكاتب الولاية الرابعة، نصرا فائقا على مظلي الجيش الاستعماري في شهر أوت 1957¹.

فقد اكتسب البطل الملحمي "مولاي الحضري" كنية بوزقزة" لتعلقه بالجبل ومكوته به فترة طويلة خلال حرب التحرير، وكان ضمن الولاية الثالثة برتبة ملازم، ثم أصبح قائد جيش التحرير، قال المسؤولي فصيلته" حرب ذات طبيعة ثورية فرضناها على العدو فرضا. نعاهد على أن تظل مشتعلة بأجساد الرجال والنساء. فلا مخرج منها صار ممكن غير حسمها بما مات عليه رفقاؤها. ثم أصدر إليهم أنها أوامر القيادة. سننفذ المهمة. "هيئة الجنود".

"بوزقزة" البطل المحب لوطنه المفعم بمظاهر الحرية القائد المضحي والمجاهد والأب المحرض ابنه في الخوض في المعارك والالتحاق بجبل الزبربر" للاشتراك في الحرب والقتال فعل عظيم في تاريخه الوطني والنضالي، وترسيخ فكرة أن الإنسان ابن بيئته وأرضه التي تحمله والدفاع عنها مهم كلفه الثمن.

انخرط البطل "بوزقزة" في عدة ملاحم وحقق عدة انتصارات وتحصل على عدة مراتب "مولاي بوزقزة"، في ضحى بداية هذا الشتاء الرابع 1958، وقد وصل في فصيلته إلى حدود المقع لفتح جبهة قتال على العدو لفك حصاره على سرية من الناحية الأولى كانت تعبر للقاء سرية ثانية قادمة من ناحية ثالثة لانتخاب قيادة لتنسيق العمليات العسكرية، يصدر أمره جنود سنمنعهم من إحكام الطوق على يمين ميدان المعركة...اشتعلت نيران الأسلحة هلع الجنود أستمروا التبادل للحظات عشوائية في الاتجاهين المتقابلين قبل أن يصير محددا مدققا مصيبا...كانت ساعات بليغة القسوة هذه يعني شيء واحد، برغم خسائرننا: سننتصر²

تميز البطل "بوزقزة" بالشجاعة والشهامة، فقد كان يجمع الرجال الشجعان حوله ويدربهم وينظمهم ويصدر الأوامر فيهم، فكان بطل قيادي قتالي يسعى إلى تحقيق الانتصار، إلى أن

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص 18 - 19.

² - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص 63 - 66.

القي حتفه في المستشفى بمرض سرطان الكبد، تاركاً وراءه صفحات خالدة مذكّرة لابنه "جلال" وتاريخاً بطولياً مجيداً.

• البطل العقيد شعباني:

جاءت شخصية البطل "العقيد شعباني" في الرواية على أنها شخصية وطنية مكافحة مجاهدة مبني جهادها على أساس عقائدي ديني وأخلاقي، فالبطل العقيد شعباني "بطل ملحمي، شارك في عدة ملاحم في زمن الاحتلال وكان ضمن البطل "بوزقزة" قائد للجيش التحريري بالمنطقة الثالثة خاض عدة معارك وحقق عدة انتصارات.

ترجع إلى الكازمة، نهاية هذا العام الثالث 1957 من الحرب، رفيع المعنويات لحصيلة خمسة قتلى في صفوف عساكر كتيبة المشاة السادسة وغنم أسلحتهم أثر أول كمين نصبه مع فصيلته".

واكتسب سمة قائد وكلف بعدة مهام وشن عدة هجمات على العدو، فكانت تحمل شخصية البطل "العقيد شعباني" الصورة التي تعبر عن الآلام والأحزان والقهر والتعذيب والتعبير عن كفاح الشعب وطموحاته، تميز بالقيم الإنسانية منها الحرية والنضال والإيمان الكامل بحب الوطن والدفاع عنه بكل غال ونفيس.

فالبطل الملحمي أعقل من طرف الجيش الوطني على رأسهم "رابح زواوي" الذي كان ضمن الفرقة الخاصة التي نقلت البطل "العقيد شعباني" إلى سجنه موقع إعدامه. "فإن العقيد السجين كان، ما أن صرصر باب زنزانته رقم 62 من ذلك الفجر، حتى قام من سريره لابد بإحساس وخزة في القلب سرعان ما أذهبها بشهقة عميقة، استقام، كما تقتضيه لياقة ضابط سام، ثم خرج ثابتاً بين عسكريين...ها هو "العقيد شعباني"، بلباسه العسكري منزوع شارة الرتبة، في ساحة منتزه غابة كانستال الصنوبرية، يطوقه أربعة جنود... يتراجع القائد نحو الفصيل . لا أحد يتحمل هنيهة الصمت هذه، فيما "العقيد محمد شعباني" يبتسم راحلاً إلى

لحظة أن وضع قبعته العسكرية على رأس والدته فأدت له التحية والبسمة، إنه لا يسمع الأمر الصادرة الصوب. ارم".¹

فالبطل "العقيد شعباني" كان ضحية حرب التحرير. أعدم ولقي حتفه على يد الجيش الوطني بطلقات من الرصاص أنهت حياته العسكرية، فكان هذا البطل يتميز بالشجاعة والقوة ولا يخشى الموت قتل وهو في هيئة أسد شهم لا يأبى المخاطر، أعدم وهو مبتسم ينظر إلى سماء الحرية، مغمور بالسعادة لكونه ضحى في سبيل وطنه، أخذ معه لياقة ضابط سامي وتحية أمه وبسمتها لأنها كانت سندا له خلال حياته ودعما له أثناء قيامه بمهامه العسكرية خلال حرب التحرير.

• البطل عادل ولد الوردي:

البطل "عادل ولد الوردي" بطل ثوري ألحق بجبل الزبربر وهو ابن الثامنة عشر من عمره بعد قتل أمه أبيه من طرف المستعمر، فبعد الحادثة والواقعة الأليمة التي أصابته من موت والديه أصبح ثائرا يود الانتقام من العدو بأبشع ما يتصور، فقد ناضل وجاهد من أجل حبه والديه وتعلقه بوطنه.

"كان عادل شابا، في الثامنة عشرة، ذا عيني قاسيتين وفك عريض وبشرة بلون القمح الصلب، يوم أدى أمام قائده اليمين لدى التحاقه بفصيلته "أقسم بالله العظيم أن أقاتل حتى الاستشهاد من أجل تحرير الجزائر أحفظ السر أصون الأمانة، إذ سلمه السلاح، بعد فترة تدريب مع الجندي "الشيخ مقري".²

بعد معاينة ومراجعة القائد "بوزيعة" لشخصية البطل "عادل ولد الوردي" تيقن يقينا أنه قادرا على حمل السلاح الصعود إلى جبل الزبربر واشترك مع المجاهدين في المعارك، فهو بطل لا يخاف من ولا يخاف عليه يمتلك كل الصفات التي يحملها كل مجاهد أو محارب،

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السناح، مرجع سابق، ص 60

² - كولونيل الزبربر، الحبيب السناح، مرجع سابق، ص 73 - 74

وقد أقسم يمينا أنه سوف يضحي من أجل الوطن، ويكافح حتى يستشهد من أجل تحرير الجزائر.

"ها هو الجندي عادل يقعد على حجرة منزويا متكئا فاقدًا الكثير من ملامحه إثر نوبة هيجان ثانية مفاجئة أصابته، صدم خلالها كما كان أمامه، صارخا ذبحها...أقتله" باحثًا عن سلاحه فطوقه جنديان لتحقنه بجرعة مورفين...مسكين عادل ولد الوردى يا لجمال أمه كان في الخمسة عشر لما اغتصبها أمام عينه أحد العسكريين، بعد أن قتل والده برصاصة¹ في البيت لأنه هجم عليه بمذارة، وذبحها من الوريد إلى الوريد لأنها ضربته في الظهر بفأس. وقع ذلك في حملة تمشيط أعقبت هجمات 20 أوت 1955"

فقده كان عادل من أحد الجزائريين الذين سلب لهم فرنسا عائلتهم وشردتهم وجعلتهم في فقر وحرمان، مما أثار هيجان وغضب البطل الثوري "عادل ولد الوردى" فقد شاهد الفظيعة والطريقة التي قتل بها والديه ورأى بأم عينه اغتصاب والدته من طرف عسكريين، مما جعله ينطوي على نفسه، فحمل في نفسه حقدا للجيش الفرنسي وعزم في نفسه أن يخلف الثأر وينتقم منهم، فكان الدافع الأساسي لالتحاقه بجبل الزبربر، وقد تمتع بقيم إنسانية واجتماعية تمثلت في حبه لوطنه، وتعلقه بوالديه والكفاح من أجلهم ليرد لهم اعتبارهم ويطفى نار غليله المشتعلة ضد المستعمر.²

• البطل قايد عمر:

"البطل قايد بن عمر" يعتبر بطل إيجابي كان يسعى لتحقيق الانتصار، فهو بطل مخبر كان ضمن الولاية الثالثة مع "القائد بوزقزة" وقد كنبا بخيط الاتصال، لنقله الأخبار والمعلومات عن فرنسا ويزود بها الجيش الجزائري ليقوم القائد "بوزقزة" للتخطيط والقيام بالإجراءات الهامة الشن الهجوم وفضح كل خطط وعمليات الجيش الفرنسي.

¹ - المرجع نفسه ص 74.

² - الكولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق ص 74.

"ما ثبت مولاي بوزقة سلاحه على كتفه كان ذهنه انسكن بالاشتباك الحتمي، قبل حدوثه على بعد ساعات قليلة، بين فصيلته وبين رتل قافلة عسكرية محملة بالمأمونة والذخيرة حسب المعلومات التي أوصلها له خيط الاتصال قايد بن عمر الذي سبق أن اقترحه النقيب حطابي على رفيقه مولاي بوزقة في بداية العالم الثالث 1975 لكونه يملك قدرة استثنائية على الإنسلاخ من رقابة العسكر وعلى مغافلة المخبين كعفريت يتلون يتموه لا يحتمل أي سلاح حيلة بينه¹ وبين الفصيلة كي لا يكتشف بحال توقيفه فهو يدخن ويخمر من حين إلى آخر لرد الشبهة عنه ويتكلم الفرنسية لحيازته على شهادة الابتدائية بلكنة الأقدام السوداء.

البطل "قايد بن عمر" كان يملك خبرة ذهنية تمكنه من التعامل مع فرنسا، يمتلك قدرة استثنائية تمكنه من مغافلة العدو، فقد اكتسب اقايد بن عمر "شخصية البطل الإيجابي الذي لا يأبى الظلم والقهر، يسرع إلى خدمة الشعب وتوفير لهم الأمن والسلام، مغامرا بنفسه وسط المستعمر لا يخشى الموت، كان هذا البطل المجاهد مصدر اتصال ينقل المعلومات عن العدو إلى القائد "بوزبة" مثل عفريت متلون يتكلم الفرنسية ويدخن ويخمر خشية أن يكتشف أمره فهناك من ظنه خائن لوطنه حركي مخبر لفرنسا، ولكنه كان عكس ذلك تحمل الذل والإهانة من أجل الحرية وتحقيق الاستقلال.

• البطل عاشور:

الطالب الجامعي الذي ترك الجامعة بإرادته بعد سنتين من الإضراب الذي قام به الطلبة الجامعيين في 19 مايو 1906، قناعة منه وغيخته على وطنه "عاشور، ما جمعته عنك يؤكد حسن سيرتك ونقاوة تاريخ عائلتك. هذا وحده يجعلني لا أشك لحظة في قناعتك". اختيار أن يحصل على شهادة وطن على شهادة الجامعة التي تركها فهذا البطل الذي ضحى بمستقبله من أجل الجزائر كغيره من كثير الطلبة الجزائريين الذين يفضلون الشهادة

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق ص 79.

في سبيل الوطن لأنه يعلم تمام العلم ما معنى أن يكون لك وطن من أجله، فهم الذين يصنعون هذا التاريخ وهم رجال الغد، والمستقبل لهم، إنه يشعر بألم وهو يرى حال أهله من فقر ومرض وضياع، فهو يبحث عن نهاية لهذا الظلم، وعزيمة مثل هؤلاء الشجعان العزيمة التي تجعل نهاية لهذا الظلم.¹

• البطل الطفل علي:

استخدم الكاتب العديد من الشخصيات في روايته وأبرزها في هذا العمل ليكون شاهد على أن الثورة الجزائرية قامت على شهادة الرجال والنساء والأطفال الكبار والصغار... من أجل الوطن. "لأنه بقية الرجال الآخرين القادرين على حمل السلاح كانوا التحقوا بأفواج الجيش في الجبال، وكذا الطفل الذي يمثل البطل الضحية البراءة المغتصبة، لرفضه الاعتراف بأنه، يرعى في سفح الجبل، سلم أحد المجاهدين شيئاً رآه قنون بمنظاره، لم يكن سوى مبلغ اشتراك سكان المنطقة". بسبب هذا التصرف قام "قنون" بقيد سكان المنطقة بسلك وأدخلوهم كوخا في طرف القرية أغلقوه وأحاطوه بالحطب ونبات الديس ثم رشوا البنزين أضرموا النار. "قال عمي موح مختنق الصوت راعش الشفتين" حتى إن الجبال توجعت لصراخهم. كان انبعاث رائحة اللحم البشري المتصاعدة مع الدخان واللهب من أفضع ما يمكن الإنسان أن يشمها.²

ومنه يمكن القول إن التضحية بالنفس والنفيس والمستقبل والمال وبالروح والدم فداء من أجل الوطن، فعل لا يقوم به إلا من يعي ويعرف معنى كلمة الوطن وهذا الفعل لا يقوم به أي شخص عادي، وإنما لأصحاب القلوب القوية والشجاعة والمؤمنة بالقضايا الإنسانية والنبيلة والمبادئ السامية حتى وهو يسعى نحو تحقيق أهداف عامة، ويحاولون أن يتصدوا لما يواجهون من صعوبات ومظالم من أجل تحقيق هدف وقد ينجحون في تحقيق هذا الهدف

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السناح، مرجع سابق ص. 86

² - كولونيل الزبربر، الحبيب السناح، مرجع سابق ص 101.

وقد يقتلون المهم أنه حاول إعطاء ولو شيء بسيط من أجل هذه الأم.

• البطلة المجاهدة لويزة :

شارك النساء في الثورة الجزائرية وعرفت مجاهدات في تاريخها العظيم، فالثورة التحريرية لم تقتصر على الرجال فقط بل شكلت النساء دورا مهم في الثورة، وخاصة في الرواية الجزائرية التي جاءت تعبر عن صورة المرأة.

المرأة التي هي ربة بيت ومناضلة مع الثوار في الوقت نفسه، فحملها كان الانتصار والاستقلال وأن تنعم بحياة حرة سعيدة لا يشوبها القلق والخوف والظلم والقهر.

"كانت لويزة، في ربيعها العشرين، ضمن "كومندو" مسلح، لما وقعت جريحة، إثر اشتباك مع مظليين كانوا نصبوا لهم كمينا من القصة. حدث ذلك في الم الثالث 1957... ردت على الجنرال ماسو "أنت لك وجه سفاح". كان قال لها بعد أن يؤس من مراديتها عن كشف مسؤول خليتها، واقفا عليها نصف عارية، على بطانية متسخة... كان قرازياني من الأقدام السوداء يغتصبها كلما حان وقت استنطاقه إليها"¹.

من المجاهدات التي عرفت الجزائر البطلة الويزة" المفعمة بالحياة المشرقة بالنور الفتاة ذات الخامسة عشر من عمرها الفتاة الشجاعة التي كانت ضحية جريمة اغتصاب من طرف عسكريين فرنسيين لعدم بوحها والكشف عن مسؤول خليتها، فلم يمارسوا معها طرق التعذيب التي كانوا يستخدمونها غالبا فاستخدموا طريقة الاغتصاب الاستنطاقها، فكانت البطلة "لويزة" تمتلك القوة والصبر على الآلام التي سببها لها الاستعمار، وبالرغم من كل محاولتهم لها وتهديدها إلا أنها ظلت صامدة، إلى أن قام الطبيب الفرنسي بتهريبها لأنه تألم لصراخها وكانت تفكره بابنته، فلم يرد لها أن تظلم أو تقهر وسط العساكر الفرنسيين، فأمن لها حياة جديدة.

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق ص 116 - 115.

جاءت شخصية "لويزة" في صورة تعبر عن معاناة النساء الجزائريات اللواتي كن فريسة يشبعون بها الفرنسيين رغباتهم الجنسية، وكانت تمثل رمزا للنساء المجاهدات. وكرمت في الخامس جويلية 1964 في إحياء عيد الاستقلال من طرف القائد "بوزقزة" على شجاعتها وجهادها في سبيل الوطن.

صورت لنا الكاتب "الحبيب السائح" روايته المعنونة "ب كولونيل الزبربر" الواقع المريع الذي عاشه الشعب الجزائري خلال حرب التحرير، وفقد صورت الحقبة التاريخية بكل معطياتها ومخلفاتها جاءت معبرة عن الجيش التحرير وعن ألبستهم وأسلحتهم وصورهم وآثار مسالكهم ومواقع معاركهم وأمكنة استشهادهم، ومما كان من خالص حياتهم في أقصى ظروف الاحتلال البشري لاستعادة أرض الآباء.

. عالج الروائي "الحبيب السائح" في هذه الرواية العديد من القيم الإنسانية والاجتماعية الخالدة، منها الحرية والنضال والإيمان الكامل بحب الوطن والدفاع عنه بكل غال ونفيس وقدم لنا أبطال تحمل هذه الأفكار والمعاني السامية، ومحور لنا الشخصية الدخيلة الفاقدة الانتماء والقابعة في بئر الخيانة.

جاءت في الرواية أسماء أبطال ملحميين ومجاهدي ومناضلين جمعتهم الثورة، كانوا يصبون نحو هدف واحد وهو الحرية والاستقلال والاستشهاد في سبيل الله من أجل الوطن، فقد طرح الكاتب قضية النضال والكفاح من خلال أسرة مولاي الحضري المكني خلال الثورة ب "بوزقزة" نسبة إلى جبل الزبربر جبل الثوار، فجاءت شخصية البطل شخصية مستوية متكاملة الإدراك الوطني والأخلاقي.

ومن الشخصيات الملحمية في الرواية شخصية "جلال" الشاهدة على الأحداث والثورات التي وقعت في الجزائر، وجعل منه الكاتب راويا لهذه الوقائع والأحداث، ووصفا الأبطال الثورة لكونه شارك فيها، فعبرت شخصية في الرواية عن الامتداد الوطني والثوري

وجمعت فيه كل صفات الجندية المتعلقة بالقوة والشجاعة والنضال.

تقوم الرواية على بطولة جماعية بتحديد سمات كل شخصية، ومثلت نموذج شخصية البطل من حيث أنها إيجابية ومناضلة أو شخصية سلبية شريرة ظالمة، إضافة شخصيات ذات طابع أسطوري في الرواية لبلورة جاذبيتها ومستواها الفني كالحرب والقتل والخوف والاعتصاب ليشكل بذلك عنصرا سرديا مهما في تحريك أحداث الرواية.

الفصل الثاني

مظاهر السرد التخيلي في رواية الكولونيل

الزبربر

1/ المفارقات الزمانية

1-1- الاسترجاع

1-2- الاستباق

2/ توليد الوقائع

3/ السرد وأبعاده التاريخية

1- المفارقات الزمانية :

إن كل حديث، مهما يكن يدور في زمان ومكان خاصين، تقوم به شخصية أو شخصيات من شأنها أن تعطي له حياة وتجعله مقبولا أو مفهوما عند المتلقي. ولذلك سنحاول الكشف عن هذه العناصر الثلاثة (الزمان، والمكان، والشخصيات)، في رواية "كولونيل الزبربر" للحبيب السائح".

أثار الزمان اهتمام الدارسين، ليس في المجال الأدبي فحسب بل في المجالات الأخرى أيضاً كالفيزياء، والرياضيات والفلسفة. لذلك يستعصي تعريفه، لكونه لا يتجلى إلا من خلال أثاره. فهو مظهر "نفسي غير مادي، ومجرد غير محسوس، ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من مظهره في حد ذاته، فهو وعي خفي، يظهر في النص حسب تقسيم النحويين للأفعال (ماض، حاضر، مستقبل). أو عبر ألفاظ تشير إلى مدته (ساعة، يوم، شهر، سنة ...). ويكون تتبع الزمن على مستوى الخطاب ممكنا عن طريق تقنيات صاغها علماء السرد.¹

يمثل الزمن محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها، كما هو محور الحياة ونسيجها، والرواية فن الحياة، فالأدب مثل الموسيقى هو فن زمني، لأن الزمان هو وسيط الرواية، كما هو وسيط الحياة، وعبرة كان يا مكان في قديم الزمان هو الموضوع الأدبي لكل قصة يحكها الإنسان من حكايات الجن.

وقد أكد الدارسون أن الرواية هي فن شكل الزمن بامتياز، لأنها تستطيع أن تلتقطها وتخصه في تحليلاته المختلفة : الميثولوجية والدائرية والتاريخية والبيوغرافية والنفسية.

ويعد الزمن أكثر هواجس القرن العشرين وقضاياها بروا في الدراسات الأدبية والنقدية، إذ شغل معظم الكتاب والنقاد أنفسهم بمفهوم الزمن الروائي وقيمه ومستوياته وتحليلاته، وقد اعتبره

¹ - بنية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي، حسين صوالحية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة (لسانيات الخطاب)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2011، ص 57.

أحد النقاد "الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة"¹.

جاء في "لسان العرب" "ابن منظور" في مادة "زمن" بأنه، اسم لقليل الوقت وكثيره². أما دائرة المعارف الإسلامية فتري بأن كلمة زمان تطلق في الغالب للدلالة على الزمان من حيث هو مفهوم فلسفي أو رياضي. كما ستعمل بالإجمال للدلالة على الأحقاب الطويلة والقرون، ومدة حكم الدولة وعلى بداية العصور التاريخية ، وتستعمل أيضا في اصطلاح على الفلك للدلالة على مقدار طول فترة ما من الزمن.³

للرواية زمنية مزدوجة، بل هي في الواقع العام ذات ثلاثة أبعاد زمنية:

- **الزمنية المتخيلة:** الكامنة في بنيتها السردية الدالة الموحدة .

- **زمنية تحليلها:** في لحظة زمنية حديثة محددة.

- **زمنية قراءتها:** أو كما يقسمها "رولان بورناف"، زمن المغامرة، زمنية الكتابة، زمن القراءة، وذلك انطلاقا من كونا فن زمني. وأن الزمن لم يبق قيمة أو شرط للإنجاز، إذا أصبح موضوعا للرواية أو أحيانا بطلها، وهي نفس التقسيمات التي اعتمدها "ميشال بوتور".

إن الرواية في شكلها العام والنهائي بنية متخيلة خاصة، داخل البنية الحديثة الواقعية، أو أكبر عينة وتحديد، هي تاريخ متخيل داخل التاريخ الموضوعي ورغم الاختلاف في الطبيعة البنيوية للزمن، بين المتخيل والموضوعي. فإن بين الزمنين أو التاريخين علاقة ضرورية، أكبر من تزامنها، هي علاقة التفاعل بينهما.

كل عمل روائي يعتمد على حدث أو قصة أو خبر لاشك أنه حدث في زمن ومكان محددين، أي أنه واقع في تاريخ، واتصال التاريخ بالأحداث الواقعة في مرحلة زمنية محددة

¹ - تعريف السرد الروائي الجزائري، سليم بركة، مرجع سابق ، ص 37.

² - لسان العرب، ابن منظور، ضبط نصته وعلق كواشيه خالد رشيد القاضي، مرجع سابق ، ص 49.

³ - بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1970 _ 1986، المؤثرات العامة في بنيته الزمن والنص، بشير بويجرة محمد، دار الغرب للنشر والتوزيع، ج1، ط 2001 2002، ص ص 4، 5.

هو الذي يعطي الحكاية نكهتها وتشويقها¹.

والأصل في المتواليات الحكائية أنها تأتي وفق تسلسل زمني متصاعد يسير بالقصة سيرة حثينة نحو نهايتها المرسومة في ذهن الكاتب، على أن استجابة الرواية لهذا التابع الطبيعي في عرض الأحداث حالة افتراضية أكثر مما هي واقعية لأن تلك المتواليات قد تبتعد كثيرة أو قليلا عن المجرى الخطي السرد فهي تعود إلى الوراء لتسترجع أحداث تكون قد حصلت في الماضي أو على عكس من ذلك تقفز إلى الأمام لتستشرف ما هو آت أو متوقع من الأحداث، وفي كلتا الحالتين نكون إزاء مفارقة زمنية توقف استرسال الحكي المتنامي وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد انطلاقا من النقطة التي وصلتها القصة².

1-3- الاسترجاع:

من جماليات الرواية العربية التلاعب بالزمن فيها، فحضور الزمن الماضي للحاضر، كما تنتبأ بالمستقبل دون مراعاة للحدود التي تتحكم فيه. فالاسترجاع عملية سردية تعمل على إيراد حدث سابق، أو هو العودة إلى الماضي وسرده قبل الحدث الذي يحدث في الحاضر.

إن الروائي الحبيب السائح من خلال تعرضه لعنصر الزمن وخاصة في هذه الرواية لاحتوائها على فترة حاسمة في تاريخ الجزائر ما شاهدها منذ زمن الاستعمار، استخدم الروائي في روايته "كولونيل الزبربر" مفارقات زمنية تتصل موقع السرد من الصيرورة الزمنية التي تتحكم في النص، ونسق ترتيب الأحداث في الرواية .

فالاسترجاع في رواية الكولونيل الزبربر "أخذ الحظ الأوفر فيها وقد شكل حيزا هاما في استرجاع الحدث التاريخي، سواء كان ماضي بعيد أو قريب، لتكون هناك علاقة متصلة

¹ - بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1970 _ 1986، المؤثرات العامة في بنيتي الزمن والنص، بشير بويجرة محمد، مرجع سابق، ص 67 _ 107.

² - بنية الشكل الروائي الفضاء - الزمن - الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009م، ص 119.

مع الذاكرة وخصوصا الماضي منه ، لاسترجاع ما فات، ونلاحظ ذلك في بداية الرواية، في الفصل الأول ما قالته "طاوس" ابنة الكولونيل الأوبر: "مند عودتي من رقان في غاية شهر جويلية الماضية لعطلة، ولا بد من قبل أيضا، مذ فقد أُمي. كان يكتب مقاومة لفرار يحاصره، يستنزفه¹. فهي بذلك تسترجع ماض قريب، وهو أنه ذكر لحالة أبوها "كولونيل البربر" الذي كان يعيش في عزلة ويشعر باختناق وفرار نتيجة لما عاشه من أيام الحرب، بعد وفاة زوجته سنده في الحياة فهو على هذا الحال مند وفاتها.

تقول "طاوس" في موضع آخر مسترجعة بعض المواقف من حياتها: "أما رائحته هو فلم تبرح مشتي، مذ كان ضمني مرة ثالثة إلى صدره صباح سفري الأول إلى الصحراء، قبل ست سنين، هامسة لي في أذني "طاوس، فخلتي لن أخاف عليك"، فطمأنته ... ومرة أولى في عتبة الدار عشية نجاحي في مسابقة الإقامة للتخصص في طب الأطفال "أنت فخر لأب مثلي أهنيك يا صغيرتي. مسار دراسي استثنائي حقا وثانية يوم خروجي من البيت عروسة "نعم، فلتة من باية، أنت أجمل بنت يحبها أب في هذه الدنيا². من خلال هذا المقطع الطويل من الرواية كانت "طاوس" تريد العودة بنا إلى ماضيها لا استرجاع أهم ذكرياتها بداية من سفرها أول مرة إلى الصحراء حيث ضمها أبوها وحين تقدم "حكيم" لخطبتها ويوم نجاحها في مسابقة التخصص في طب الأطفال ليطلعنا على أن "طاوس" طبيبة متخصصة في طب الأطفال، وتذكرها اليوم الذي زفت فيه عروس إلى بيت زوجها "حكيم"

إضافة إلى استرجاعات في مواضع كثيرة ومتنوعة من الرواية لها أثر واضح وفعال في تحريك الذاكرة بقول السارد: "ففي صبيحة الخامس جويلية 1962 ، وقد شارف الابن جلال الذي سيصبح والدي، الثني عشر عاما، ... كان حقق، ضمن "كومندو عز الدين"

¹ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، دار الساقى، بيروت لبنان، ط1، 2015، ص13.

² - كولونيل الزبربر ، الحبيب السائح، مرجع سابق ، ص 14.

وكتائب الولاية الرابعة، نصرة فائقة على مظليي الجيش الاستعماري في شهر أوت 1957¹. ففي هذا المقتطف عاد بنا السارد إلى يوم استقلال الجزائر، حيث تنعم اليوم بالحرية. ثم تذكر حوادث حرب التحرير التي خاضها الشعب الجزائري، والمعارك التي خاضها جنود التحرير الجزائري مع الجيش الفرنسي والتي كانت النتائج مختلفة التناسب نظرة إلى عدة وعناد وتدريب الجيش الفرنسي مقارنة | بالجنود الجزائريين البواسل

وقد ورد مقاطع استذكارية على لسان السارد حين استرجع ذكرى إعدام الشهيد "العقيد شعباني" لن يبرأ من جرح إعدام العقيد شعباني... أنا الحفيدة ، صار لي أن أبلغ هذا العمر كله، أربعة وثلاثين سنة الآن، لأعرف أن راجح زواوي، الذي أصبح ضابط في الجيش الوطني، كان ضمن الفرقة الخاصة التي أقنت نقل العقيد الأسير من سجنه إلى موقع إعدامه، قبل ثمانية وأربعين عاماً². فهي تعيد بنا الذاكرة إلى الجريمة المرتكبة في حق العقيد شعباني، الذي راح ضحية مؤامرة حبكها ضباط فرنسا، وتم تنفيذها من طرف رئيس الجزائر آنذاك.

وهناك استرجاع عن طريق ذاكرة الطبيب " الطاهر " حين استرجع أحداث سطيف وقبلها أبشع الجرائم التي حدثت في تاريخ الجزائر، حرق مكتبة الجامعة المركزية 7 جوان 1962 قبل الاستقلال، "كان الطاهر، إذ عاد في بداية الصيف الأخير للحرب حدثته فرانسواز ، بقلق، عن رعب كومندوهات المنظمة المسلحة السرية وعملياتها الموهبة ضد السكان ... ومقرات الصحف و مسارح ومنشآت عامة وقالت له : ولكني لم أكن أنتظر أن تبلغ الجريمة ذروتها فتحرق مكتبة الجامعة المركزية"³.

" كنت أحس ذلك، منذ أحداث سطيف 1945 الدامية كلما جئت لي إعاره"⁴. تلك

¹ - المرجع نفسه، ص ص 18، 19.

² - المرجع نفسه، ص 177.

³ - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق ، ص 188.

⁴ - المرجع نفسه، ص 192.

الأحداث البشعة الدامية التي تزامنت ، وانتهاء الحرب العالمية الثانية قدمت فيها الجزائر حياتها ضد فرنسا. خرج فيها الجزائريون في مظاهرات مطالبة بالاستقلال، إلا أنها قبلت من طرف الفرنسيين بالقوة كعادتها.

ثم تطرق السارد إلى استرجاع حادثة موت "باية" زوجة كولونيل الزبربر "ماكان عاوده لي وهو يضمني على صدره باكية كنا في طريقنا إلى مدينة البليدة نحو حمام ملوان المعدني. لم تتألم، هو كان انسل كشجرة عجيب من الحادث، وسكتت باية جنبه إلى الأبد، بلا جروح، بلا رضوخ بادية ... نزيف دماغي سلس شيء من الارتخاء ، شيء فقط ، في عينيها. كان الموت أحرق إشارة التوقف ليصل سريعة لم يكن دوي الاصطدام بين السيارتين قوية، لكنه كان حاسما، ساد بعده صمت لبرهة ما أمكن تخيل شبح الموت أخذ، على عجل، الروح الجميلة واختفي¹. هذا الحادث الذي وقع لهما في طريقهما إلى مدينة البليدة ، الذي أسفر عنه موت باية، حيث استرجع تلك الحادثة بكل تفاصيلها المؤلمة ومعاناة "جلال" من بعد الفراق والحنين إليها بعد موتها.

وفي الأخير نستنتج أن هذه استرجاعات التي كانت تستحضر في ذاكرة كولونيل الزبربر والابنة طاوس والطبيب الطاهر وغيرهم في ما عاشته الجزائر قبل الاستقلال وبعد الاستقلال كانت متنوعة، بمثابة إضاءات مختلفة حول تاريخ الجزائر الحافل بالمطبات، فقد لعبت هذه الاسترجاعات دورة في تشكيل الإطار الزمني لرواية ، والبناء الزمني دورها في غلق أبواب زمنية سابقة.

¹ - المرجع نفسه، ص ص 292، 293.

1-4- الاستباق:

يعد الاستباق عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آتي، أو الإشارة إليه مسبقاً، وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي سبق الأحداث.¹ أي الحدث قبل وقوعه، فهو توقع وانتظار لما سيقع.

إذ مهمة الاسترجاع تزويد القارئ بمعلومات ماضية حول الشخصيات والأحداث في الرواية، فإن الاستباق عكس ذلك فهو مفارقة زمنية سردية تتجه نحو الأمام فهو تصوير مستقبلي لحدث سيأتي فيما بعد.

ففي رواية "كولونيل الأبتير" ذكر استباق على لسان "جلال الحضري" في قوله: "بأفزع مشاهد القتال والموت والدم وآثار الحرائق والخراب، بهذا الإحساس بأن الحياة لا تزال مستمرة... إذ هي، بقدر ما تلمها الأحزان، تسخر على المظلومين بفرح آتي دائماً، حتى وإن تأجل: الفرح ذاك ما رآه بعين الطفل الذي كانه فهدده خلال التهلل الأعظم. عاشه، تنقسه، قبل خمسين عاماً"². فهو من خلال هذا يستبق الأحداث يأمل بالحرية للجزائر، فمهما طال الاستعمار فلا بد من يوم يزول ويأتي فيه اليوم الذي تعيش فيه الجزائر الحرية.

"لما تبث مولاي بوزقزة سلاحه على كتفه كان ذهنه انسكن بالاشتباك الحتمي، قبل حدوثه على بعد ساعات قليلة، بين فصيلته وبين رتل قافلة عسكرية محملة بالموثونة والذخيرة، حسب المعلومات التي أوصلها له خيط الاتصال"³. هذا استباق للأحداث يطلعنا على ما سيحدث بعد فترة زمنية قصيرة وهو الاشتباك مع الجيش الفرنسي والاستيلاء على عتاده، وهذا ما حدث بالفعل بعد مدة من الزمن.

ثم نحد استباق آخر وهو يوم نجاح "جلال" في البكالوريا ليلتحق بأكاديمية شرشال

¹ - البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، عمر عاشور (ابن الزيبان)، دار هومه الجزائر، د ط، 2010، ص 20.

² - كولونيل الزبربر، الحبيب السائح، مرجع سابق، ص ص 59، 60.

³ - المرجع نفسه، ص 79.

فهو حدث لم يحدث بعد وأفصح عنه بقوله: " يومذاك، أذخر الأب مولاي ماكان سيقوله لابنه جلال إلى مناسبة نجاحه في البكالوريا ليلتحق بأكاديمية شرشال لمخفف الأسلحة." أرادت لك أن تكون من خيرة أبناء الذين حرروا الجزائر".¹

استباق آخر للأحداث في قوله: " كلما أعاد حنينه الغامر إلى تلك الأيام ، صور رتبها، في ألبومات داخل محفظة والده مولاي" يوما ما ستتزلها طاوس من رف المكتبة العاوي وتفتحها".² " حيث أنه تنبأ بأنه سيأتي يوم وتفتح فيه "الطاوس" مذكرات أبيها التي كانت وسط الكتب وتحقق ذلك بالفعل.

وهاهو "شعباني" استبق الأحداث وتنبأ فيه بمصيره الذي ينتظره وهو إعدامه، في قوله : " بل إن الرئيس الآن يكون أصدر مرسومه بتجريدي من رتبتي... وأعطى أوامره بإلقاء القبض علي، إنني أرى مصيري أمامي، مثل شريط.³ وتم إعدامه بعد إصدار الأوامر من طرف رئيس الدولة الجزائرية آنذاك نتيجة لمؤامرة من طرف فرنسا له.

" من غور تذكارات كولونيل الزبربر، من ظلمة حزنه، تأتي كلماته " باية مؤلم، مؤلم لي أنك تتركيني وحيدا الشقائي الأخير. وأنت يا قدر، لماذا أنا؟".⁴ وهو استباق جاء على لسان "كولونيل الزبربر" يحدثنا لما حدث "الباية" وهو وفاتها .

وفي الأخير نلاحظ أن الاستباقات كانت قليلة في الرواية خلاف الاسترجاعات غير أنها ساعدت على تصوير الأحداث التي ستأتي فيما بعد.

¹ - المرجع نفسه، ص 209.

² - المرجع نفسه، ص 258.

³ - المرجع نفسه، ص 277.

⁴ - المرجع نفسه، ص 285.

2- توليد الوقائع

إبطاء السود:

يعني الإبطاء والتمديد في وتيرة السود "ويشمل تقنيات المشهد والمونولوج والوقفة الوصفية، حيث مقطع طويل من الخطاب يقابله فترة زمنية قصيرة من الحكاية"¹، فما معنى المشهد؟ وما معنى التوقف؟ وكيف يعملان على تعطيل السود؟

أ. المشهد Scene (زن = زح)

يتساوى فيه زمن النص مع زمن الحكاية (تطابق افتراضي)، وهو نقيض المجل، حيث نسجل في هذا الأخير مروراً سريعاً للأحداث، بينما تتوالى في المشهد الأحداث بكل تفاصيلها، ويسمى المشهد تقليدياً بالفترة الحاسمة فبينما يقع غالباً تلخيص الأحداث الثانوية يصاحب الأحداث والفترات الهامة تضخم نصي فيقترب حجم النص القصصي من زمن الحكاية"²، كالحوار الذي يلعب دوراً حاسماً في خلق حالة توازن بين زمن الحكاية وزمن النص، والمواضع التي يركز فيها على جزئيات الحركة.

- **المشهد الحواري:** وهو الذي يعتمد على الحوار بنوعيه (الداخلي والخارجي)، فيطلق على الحوار الداخلي مصطلح "المونولوج الذي هو ذلك التكنيك المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى التقسي للشخصية"³، كما هو الشأن في الملفوظ السوداني الآتي: "شغلني أن أقرب إلى ذهني صورة هذا الطالب الجامعي (...) ماذا كان يلبس و يقرأ؟ بم كان يحلم؟ ومن كان يحب؟ وكيف كان يواجهه، لا محالة عنصرية الأقدام السوداء (...)"⁴

وقد يرد المشهد على شكل حوار خارجي "يجسد حواراً بين شخصين أو أكثر"⁵، كما

¹ - مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، ص223

² - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص93.

³ - مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، ص 244. نقلاً عن: روبرب همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ص59.

⁴ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص88.

⁵ - مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، ص 244.

يبدو جليا في المقطع السوداني التالي:

1. " - فروجة .. كم ..

- لا تبك يا رفيقي.

- الحقيق.

- تسحيت كانت لا تزال ترضع الطفل.

- العار للخونة.¹

- المشهد الحداثي: هو وصف الأحداث دون محاولة للتدخل فيها، وهذا ما يؤكد علاقة السود بالوصف لأن "كل حكاية تحوي سردا محضا للأحداث والأعمال من ناحية، وتصويرا للأشياء من ناحية أخرى (...). والعلاقة بين السود والوصف تكمن في أن الوصف اشد ضرورة من السود لأنه من السهل أن نصف دون أن نحكي أكثر من أن نحكي دون أن نصف"².

لقد كان للمشهد في رواية "كولونيل الزبربر" دورا كبيرا في إبطاء حركة السود، فمن بين المشاهد الحوارية التي تضمنتها الرواية مشهد الحوار الذي دار بين "كولونيل الزبربر" وزوجته "باية":

1. " - قميصي الآخر؟

- لحظة!

- أخرتني عن الموعد. - هم لا يحترمون بروتوكول أي توقيت. - تريدني أن أتصرف مثلهم؟ - أنت تعرف مسبقا بروتوكول الحفل وطبيعته.

¹ الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 103.

² عبد الفتاح إبراهيم، البنية والدلالة في مجموعة حيدر "الوعول": ص 120 نقلا عن: نبيلة زويش، تحليل الخطاب السوداني في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 108.

- و بعد؟

- لا شيء.

- سيتبادلون جميعا كالعادة تحيات النفاق و ابتسامات المكر (...).¹

يعد هذا المقطع السوداني مشهدا حواريا، نوعه خارجي، دار بين كولونيل الزبربر " وزوجته "باية" حول الحفل الذي كان سيقصده ، ومنه عمل هذا المشهد على إبطاء السود والتقليل من حركته

نتيجة الخوض في حوار بين "كولونيل الزبربر" وزوجته "باية".

2. -" الوضع أصبح أكثر خطورة مما كنا نتوقع.

- ماذا يريد هؤلاء الفاشيون الجدد. الشعب الفرنسي فصل بالاستفتاء لصالح تقرير المصير. وسيصوت خمسة ملايين من مجموع العشرة من الأهالي لصالح الاستقلال، مقابل خمسمائة ألف من مجموع المليون من المستوطنين الذين يريدون بقاء الجزائر فرنسية كما تقتضيه مصالحهم وأنانيتهم العمياء؟

- أشم شيئا غريبة في الهواء له رائحة الحرب الأهلية . - كان الأمر منتظرا. هؤلاء الغلاة سيستعملون كل الوسائل لإشعالها حتى يرغموا الجنرال على التراجع عن بيع الجزائر إلى الفلاقة، كما يقولون.

- وسيصبح كل من لا يمشي في خطهم معاديا لهم.²

في هذا المثال نجد حديث دار بين الطاهر" وزوجته "فرانسواز" تقابله على مائدة العشاء، هذا المشهد الطويل شغل مساحة نصية تقارب ثلاث صفحات بحيث تخللته تفاصيل

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص.37

² - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 186-187-188.

- ثانوية، وكل هذه الاستطرادات عملت على زيادة سعة الخطاب ومنه زيادة إبطاء السود.
- وهناك مشاهد أخرى مماثلة نعثر عليها في فصول الرواية تمتاز بالطول، مثل الحوار الذي جرى بين "مولاي بوزقة" والطالب الجامعي "عاشور" الذي التحق بصفوف فصيلته
3. - "عاشور، ما جمعتك عنك يؤكد حسن سيرتك ونقاوة تاريخ عائلتك. هذا وحده يجعلني لا أشك لحظة في قناعتك.
- حضرة القائد، اخترت أن أحصل على شهادة وطن، كان يمكن لي أن أحصل على غيرها من جامعة تركتها بإرادتي.
- أقدر ذلك.
- أحس بالاطمئنان إليك، حضرة القائد.
- يجب أن تثق أكثر في القضية العليا.
- كل القضايا الكبرى، حضرة القائد، يثيرها ويموت من أجلها رجال أمثالكم.
- كما أنتم أيضا، لأنكم هنا تتعلمون ما معنى أن يكون لك وطن تموت من أجله.
- أنتم الذين تصنعون هذا التاريخ. - وأنتم هم رجاله للغد. المستقبل لكم¹.
- هذا المشهد الطويل مساحة نصية تقارب صفحتين، وكمثال آخر عن هذه التقنية نجد مشهدا آخر أكثر طولا وهو الحوار الذي جرى بين الطبيب "الطاهر" وزوجته "فرانسواز" و "شارل" صديق العائلة حول حرق كتب وحضارة بلاد بأكملها والتي تقدر بحوالي أربعمئة ألف كتاب:
4. "قد يكون مجرد حادث أو فعلا منعزلا .

- فرانسواز، العزيزة! كنت أعرف، في الجامعة وفي المكتبة نفسها، موالين للمنظمة المسلحة السرية من الأقدام السوداء، هم الذين تواطأوا في الفعل الشنيع. وأنا نازل من الجبل؛ راجعا

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 86-87-88.

إلى هنا، شاهدت الخراب الذي خلفته سياسة الأرض المحروقة التي انتهجوها.

- تعرف يا التاهر، قبل أسبوع من الحريق قال لي مسئول مصلحة الكتاب نفسه (...).¹

وكنموذج آخر لكنه قصير بعض الشيء عن سابقه، وهو الحوار الذي دار بين رابح والوناس) هذان الأخيران قتلت زوجتهما (قروجة و تسحيت) رمية من طرف جسر أمام مرأى سكان المنطقة على يد اقنون":

5. " - فروجة .. كم ..

- لا تبك يا رفيقي.

-الحقير.

- تسحيت كانت لا تزال ترضع الطفل. -

العار للخونة.² تعرضنا فيما سبق إلى مقتطفات من الحوار الخارجي، والذي تحداه إلى حوار داخلي (مونولوج)، وحتى يتجلى أكثر نقوم باستخراج بعض المقاطع السردية الدالة على ذلك:

6. "ها هو مولاي بوزة زة، راجعا طريقه نحو المخيم، يحث نفسه أنه إن هو وأنطوان قريتهما إلى بعضهما بعضا مشاعر الإنسانية فإن العسكري الألماني هانس، وقد أصبح في حل من مسؤوليته بعد أن حوله بيد النقيب حطابي نفسه قبل أشهر إلى مقر قيادة الولاية؛ إنما تسرب إلى جيش التحرير، فرارا من الليف الأجنبي (...).³ ، يمثل هذا الملفوظ السردى ما يختلج في نفسية "مولاي بزوغزة"، إذ تحدثه نفسه وهو راجع نحو المخيم، ذلك أن هذا اللجوء لم يكن اعتباطا بل له أسباب أهمها الحالة النفسية التي كان يعيشها والمتمثلة في محاولته الهروب من الواقع والانفراد بنفسه.

¹ - المصدر نفسه، ص 191-192-193-194.

² - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 103

³ - المصدر نفسه، ص 68.

7. "من أين لي أنا؟ وريثة الهم والندم والفخر أيضا، أن أفك خيوط هذا التشابك كله؟ كيف يمكن خرق هذا الصمت الصخري عن تلك الملابس الفعلية والحقيقية؛ ولو كانت مؤلمة، ولو كانت مخجلة؟"¹، يعد هذا المقطع السردى مشهدا حواريا، نوعه داخلي، و هو عبارة عن تساؤلات التي تراود "الطاوس" عن هذه الحرب وعن تلك المؤامرات التي كانت تحاك ضد الثوار.

9. أين يكون ذلك الطفل الآن، إن كان لا يزال حيا؟ وأمّه، ماذا تكون فعلت إذ جاءها الخبر؟²، تطرح "الطاوس" في هذا المقطع السردى على نفسها تساؤلات عدة حول ما آل إليه وضع ذلك الطفل أيام الاستعمار الفرنسي، والذي يعد مشهدا حواريا نوعه داخلي. كما نقوم أيضا باستخراج بعض المقاطع الحوارية الحديثة من الرواية:

10. فأعطي محفوظ أمره بأن يعلق. ثم أشار إلى الجندي، الذي يمسك بالطرف الآخر للحبل، ببدا رفع الجسم المعلق مثل دلو إلى حوالي متر و نصف، على وقع صرصر العجلة، وبعد تثبيت الثوان راح ينزله ببط إلى أن غدا البطن يكاد يلامس جمر حطب البلوط المستعر في الكانون المها. فأن كمال، إذ عاود الجندي الحركة الأولى، ثم أطلق صرخة حادة للألم المزدوج: شعور بتفكك في مفاصله وحرارة شاولية جلد بطنه (...)³، يمثل هذا المقطع السردى مشهدا حدثيا، لأن السارد قام بوصف تعذيب كمال خلال الاستنطاق كما هو دون تنظي فيه، وفصلى المشهد لحظة بلد ظمة، معتمدا على أفعال وصفية ما جعل الض يميل إلى التضخم.

11. "وها هي الأخت ملوكة، بابتسامة دية، اقتربت من الأخ العائد. إنها تحضنه. تنفصل عنه وتقل يده ثم تمسح دمعيتين؛ وقد رحل بها حنينها إلى إشراق فرحته إذ ألبسته البرنوس

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 129

² - المصدر نفسه، ص 160

³ - المصدر نفسه، ص 90-91

الأبيض ليلة دخلته، على دوي طلقات البارود، كما كانت ستخبر ابنه جلال"¹، يعد هذا الملفوظ مشهدا حدثيا

3- السرد و أبعاده التاريخية

ضروب التواتر:

(1) السرد المفرد Recit Singulatif (1خ / 1ح)

وهو أن يروي مرة واحدة ما وقع مرة واحدة،² فهو الأكثر استعمالا في النصوص الروائية، وتتجسد العلاقة كالاتي: أخ / 1ح، أي واحد خطاب يقابل واحد حكاية، وليتضح هذا الضرب أكثر نقوم باستخراجه من رواية "كولونيل الزبربر":

1. أنا، كنت في ليلتي رأيت لأول مرة كيف يتقابل عريسان صدرا لصدر على صهوة فرس مجنحة في ضوء زهري من خل³ في هذا المقطع السردى ذكر هذا الحدث مرة واحدة على مستوى الخطاب ولم يتكرر على مستوى الرواية كلها، وعليه فهذا القرد في الملفوظ السوي يقابله تقرد في الحدث المسرود.

2. "وجدته في المكتبة واقفا ينتظرني. رازني بعتاب عابر، كأني تأخرت عنه. سلمني بشماله مفتاح "فلاش ديسك". نطق "تجدين فيه ملفا واحدا مهما " وتبسم "ذلك ما يمكن أن ترثيه مني"⁴

ففي هذا الملفوظ تم ذكر الحديث الذي وجهه الوالد "كولونيل الزبربر" لابنته "الطاوس" والأمانة التي أعطاها إياها مرة واحدة ما حدث بالفعل مرة واحدة.

3. "لما جاء الطاهر يستعيد فرانسواز من تلك العائلة في القصة، فتقدمت منه في الحوش

¹- المصدر نفسه، ص 254.

²- جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص13

³- الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص32.

⁴- المصدر نفسه، ص 16.

في لباس الخرجة الزيري التقليدي، كاد لا يتعرف عليها لولا أنها نزعت العجار وفتحت الحايك على صدرها ضاحكة فض حكت صاحبة الدار خلفها في ثياب سية شابة، بشدة العصابة الوردية على الرأس المفروق الشعر وخيط الروح الفضي على الجبين و القميص التكتة والخلخال والبليغة¹.

في هذا المثال تم وصف زوجة "الطاهر" "فرانسواز" عندما ذهب ليستعيدها من عائلة في القصة، فلم يرد ذكر هذا الحدث على طول الرواية إلا مرة واحدة فقط.

4. "كان عادل شابا، في الثامنة عشرة، ذا عينين قاسيتين وفك عريض وبشرة بلون القمح الصلب"² في هذا الملفوظ أيضا تم وصف شخصية "عادل"، وقد ورد ذكره مرة واحدة على مستوى الخطاب، ولم يتكرر نهائيا على مستوى الرواية كلها، إذ لم نعثر على مثل هذا الملفوظ من بداية الرواية إلى نهايتها.

5. كما لم يرد ذكر حدث إلقاء القبض على "الزبر" قائل "ياسين" ابن "كولونيل الزبربر" على طول الرواية إلا مرة واحدة، فالوالد تواعد بإلقاء القبض عليه حتى يشفى من جرحه الغائر :

- أنت نذل

لا تستحق حتى الموت كما الرجال.

- حضرات، لم أكن في حالي الطبيعية.

- كما في كل عملياتك المحمية؟

- الأمير بيده كان يسقينا تلك الجرعات.

- ستذوق ما لم تشربه في حياتك أبدا³

¹ - الحبيب السانج، كولونيل الزبربر، ص 189.

² - المصدر نفسه، ص 73.

³ - المصدر نفسه، ص 47.

"أشار أوساريس إلى المظليين، فأصعدا بن مهدي فوق مقعد مكبل اليدين إلى الخلف ووضعا في رقبتة الحبل المدلى من عارضة سقف خشبية، ولم يفعل أكثر من أنه ركل المقعد بجذائه ثم ولى (...)¹.

في هذا الملفوظ السردى تم ذكر كيف تم تعذيب الشهيد "العربي بن مهدي" في العام الثالث 1957 للثورة سوى مرة واحدة على مستوى الخطاب و لم يتكرر ذكر هذا الحدث مرة أخرى.

(2) السرد المفرد العائدي R.S.Anaphonique (س خ س ح)

وهو أن به روى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية²، بمعنى تطابق تكرار المقاطع النصية أي الملفوظات السردية مع تكرار الأحداث في الحكاية، ونمثله بالمعادلة الآتية: س خ / س ح، ونعني بالحرف (س) عدد مجهول، وليتضح هذا الضرب من ضروب التكرار أكثر نقوم باستخراجه من رواية كولونيل الزبربر:

الحدث الأول:

يتمثل في تدوين "مولاي بوزقة لبعض الملاحظات في دراسته أيام الثورة والتي أورثها فيما بعد لابنه "جلال الحضري الملقب "بكولونيل الزبربر"، فعملية التدوين هذه حدثت على مستوى الحكاية أكثر من مرة، كما أنها تكررت على مستوى الخطاب أيضا أكثر من مرة:

1. سجل مولاي بوزقة أنه بعد مراسم حفظ العلم آخر المساء كان سأل في الكازمة العسكري

أنطوان الذي أسر خلال المعركة، لماذا رفض زميله الاستسلام.³

2. "حربك، حرب شعب: نهايتها لن تكون مختلفة عن نهايات الحروب العادلة كلها" (...)

سجلى ذلك في لحظة استلقائه القصيرة في الكازمة⁴.

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 107.

² - جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 130.

³ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 67.

⁴ الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 71

3. "سجى مولاي بوزقزة، يبدو ذلك مثل نبوءة، أن فدية هذه الحرب ستكون أكبر من أي توقع و أن الناجين منها لن يحفظوا لضحاياها عهدا ، إلا قليل منهم"¹.
4. وفي نهاية هذا العام الخامس 1959، كان سجي، إذ أبلغه المحافظ السياسي مال الطلبة الخمسة "تعذيبهم إلى
5. حد إقرارهم (...) عمل غير إنساني يمس بمصادقية أخلاق الثورة ويوهن الصفوف ويفت في المعنويات"².
6. في بداية ذلك العام الرابع 1958، سجى مولاي بوزقزة داخل الكازمة على ضوء شمعة "معارك هذه الحرب النفسية لا تقل بأسا عن المعارك المسلحة ذاتها، لانتشار آثارها في الزمان والمكان ونفاذ تقويضها إلى العقل والروح"³.
- 6.7. " (...) في هذا العام 1960، أنه يسجل لو كان يستطيع أن يتواجد في كل مكان في اللحظة ذاتها ليفدي كل ضحية من الأهالي في الريف، في المدن !"⁴.
8. بعد اجتماعه مع قادة أفواج فصيلته الثلاثة (...)ها هو مولاي بوزقزة يحرق مشاعره على كراسته " طالما أوجدت كل مرة ذريعة جديدة أسد بها قلبي منفذا آخر للحقد على الفرنسيين بلا تميز (...) على الكرامة الإنسانية باتخاذ الاغتصاب سلاحا آخر أشد فتكا بمعنويات الأهالي"⁵.
9. "وتبسم (...) ثم أخرج الكراسة "أقدر أن هناك شيئا ما في وجدان الواحد منا يحول تلك الدعاية إلى ضدها بأن لا يرى بعبع الإعدام سوى تتويج لموت شريف بالرصاص (...) فسجلا بدمعها عار فرنسا الاستعمارية ضد الجزائريين"⁶
10. "وسجل على شمعة "ها هم قادة جيش الجمهورية الفرنسية، مثل أي عصابات

¹ - المصدر نفسه، ص 76.

² - المصدر نفسه، ص 89 .

³ - المصدر نفسه، ص 100.

⁴ - المصدر نفسه، ص 104.

⁵ - المصدر نفسه، ص 113.

⁶ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 111-112.

منظمة، يتخذون من الاغتصاب حرباً أخرى ممنهجة لكسر كرامة الجزائريين¹

11. " وبخاطر زاه سجل إذ عاد إلى الكازمة " تجد في جويل، الرجل الوسيم الطيب السريّة، نموذج الفرنسي الإنسان (...) يا له من مثل في الشرف أن تختار الحقيقة والعدل".²

12. "إنه يسجل، ظهره على جذع سديانة: في هذه الحرب، خلف سلاح النابالم، هنا، المحارق النارية هناك. بفعل فعلها، هنا، على سماء مفتوحة (...) النابالم وسيلتكم في سياسة الأرض المحروقة"³

عدد مرات سرد هذا الحدث هو أكثر من إحدى عشر مرة، لكن لم يسعني المجال لإدراج كل المقاطع السردية الدالة على الحدث لكثرتها، وكل الملفوظات السردية المستخرجة هي ذات قيم دلالية، فمن قمم جبل الزبربر وبأنامل "مولاي بوزقزة" يخط في كراسته ما عاينه وشاهده من خلال مشاركته في هذه الحرب الضارية لمدة سبع سنوات، فهو يقيم بشاعة سلوكات مستعمر كان هدفه إبادة الشعب الجزائري.

الحدث الثاني:

يتمثل في دخول "كولونيل الزبربر" إلى المكتبة أكثر من مرة على مستوى الحكاية وقد تكرر ذكر هذا الحدث أيضا في الرواية، ولمعرفة عدد مرات سرد هذا الحدث نقوم بالشيء نفسه:

1. "مساء، بعد انفضاض المعزين، دخل المكتبة".⁴

2. "بعد أسبوع، نزل مرة أخرى إلى المكتبة".⁵

¹ المصدر نفسه، ص 118.

² المصدر نفسه، ص 139.

³ المصدر نفسه، ص 169.

⁴ الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 294.

⁵ المصدر نفسه، ص 295.

3. إذ نزل كولونيل الزبربر إلى المكتبة، غمره، من بين الصور وجه العمة ملوكة¹.
 4. بعد شهر من دفنه لباية، إذ نزل إلى المكتبة في آخر ليلة من ديسمبر مكتبة²
 5. "بعد أسبوع، نزل مرة أخرى إلى المكتبة فأبقى على مصباح الزاوية³.
- أورد السارد هذا الحدث خمس مرات، وهذا راجع إلى كثرة تردد كولونيل الزبربر "على المكتبة حيث كانت ملجأه في كتابة مذكراته.

الحدث الثالث:

يتمثل هذا الحدث في نزول "مولاي بوزقرة" إلى العاصمة تنفيذا لأمر من قيادته أثناء العشرية السوداء، لمواجهة جنود كانوا هم أيضا قبل أيام يواجهون العدو لأكثر من سبع سنين، حتى ظهرت مجموعات بشرية من نساء ورجال يرددون في غضب "سبع سنين بركات":

. وها هي الشوفات امتلات نساء ورجالا (..) بصوت واحد غامر يرددون "سبع سنين بركات!؟".

2. "من فوق هؤلاء الجنود المذهولين من خلفهم ومن حولهم سبع سنين بركات؟⁴
 3. " وها هو فيض هتافات الشباب والشابات يغمر كل صوت آخر "سبع سنين بركات! سبع سنين تضحيات: سبع سنين بركات⁵.
- الملاحظ أن عدد مرات تكرار الملفوظ السوداني "سبع سنين بركات" يساوي ثلاث مرات، أي أن تكرار هتاف الجزائريين لكلمة "سبع سنين بركات" على مستوى الحكاية أكثر من مرة، كذلك كان ذكره على مستوى الخطاب متكررا أيضا⁶.

¹ - المصدر نفسه، ص 263

² - المصدر نفسه، ص 51.

³ - المصدر نفسه، ص 295.

⁴ - الحبيب السانح، كولونيل الزبربر، ص 175.

⁵ - المصدر نفسه، ص 175.

⁶ - المصدر نفسه، ص 176.

الحدث الرابع:

يتمثل في خوف الحمر زغدان" الذي كان واحدا من الجماعات المسلحة من الكولونيل الزبربر" وهو يستنطقه، ففي كل مرة بسبب توتره كان يمص ريقه، ليتكرر هذا الفعل أكثر من مرة¹:

1. كولونيل الزبربر يتابع تقطية وجه لحر زغدان الآن (...) أغمض، ليرى نفسه؟ مص ريقه . إنه يفقد خلاصه"

2. . إنه يرى لحر زغدان يمص ريقه مرة أخرى². بمرارة عدد مرات سرد هذا الحدث هو مرتان، ما يوضح حالة الحمر زغدان" النفسية التي كان يتخط فيها جراء استنطاقه.

¹ - المصدر نفسه، ص 237.

² - المصدر نفسه، ص 238.

خاتمة

خاتمة :

بعد دراستنا التي قمنا فيها بمعالجة السرد التاريخي في الرواية الجزائرية الكولونيل الزبربر أنموذجا للروائي الحبيب السايح ، والتي حاولنا فيها تقديم إجابة نسبية عن الإشكالات التي طرحناها في مقدمة البحث ، إضافة إلى ذلك أفصحت الدراسة عن مظاهر السرد الواقعي للتاريخ ، وباعتبار الرواية مفعمة بالواقع التاريخي فإن المعالم التاريخية سجلت حضورها ، وكان للشخصيات التاريخية حضور في هذه المدونة الأدبية عبر شخصيات واقعية ومتخيلة .

أما الجانب الآخر من الدراسة فكان حول الكيفية التي اعتمدها الروائي ، في صياغته للأحداث المتخيلة ، فرغم اهتمامه بسرد الحقائق التاريخية ، إلا أن مظاهر التخيل في الرواية تجلت عبر المفارقة الزمنية التي ساهمت في بعثرة الوقائع المسرودة .

ليست خاتمة هذا البحث غلقا للباب أمام الدراسات المقبلة ، بل إن مجال البحث في هذا الموضوع يبقى مفتوحا أمام مزيد من الاسهامات والقراءات الجديدة ، ومن خلال بحثنا هذا توصلنا مجموعة من النتائج نذكر منها :

- درست الرواية الجزائرية منذ انطلاقتها مختلف الإشكاليات الاجتماعية والسياسية التي عرفها المجتمع، إلا أنها لم تكون تخرج عن جدلية التاريخ والواقع المعيشي، أخذت موقعا متميزا في مساحة الاهتمام النقدي لدى دارسي الأدب.
- إن سردية كولونيل الزبربر تتيح للمتلقي التبصر في كثير من المواقف، وتبين الصالح من الفاسد من التحولات التي كانت تطرأ على الثورة، وتساهم في تدارك ما فات من الخطأ بالصواب ، وما خفي من الباطل والبهتان.

- تتضمن كولونيل الزبربر في دلالاتها جملة من الوظائف التي تصور مجموعة من الثنائيات المتقابلة لعل أهمها ثنائية التواصل والرغبة، بوصفهما محورين أساسيين تدور حولهما ثنائية البرنامج السردي.
- إن الذاكرة توحى بما فارق الحاضر وارتحل لكنها تبدو في الحالة الروائية وهكذا اختص الحبيب السائح بالذاكرة في عمله كولونيل الزبربر ليقاوم النسيان عبر اقتفاء ذاكرة عائلة جلال الحضري الملقب بالكولونيل الزبربر .

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

1. ابن منظور، لسان العرب، الج 6، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3، 1999.

2. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

الكتب :

1. أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.

2. أحمد مرشد: البنية والدلالة (في روايات إبراهيم نصر الله)، الموسمية العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2005.

3. اسمر روجي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا.

4. امحمد مصايف، النشر الجزائري الحديث، م، و، عك، الجزائر، 1962م.

5. بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1970-1986، المؤثرات العامة في بنيتي الزمن والنص، دار الغرب للنشر والتوزيع، ج1، ط 2001 2002.

6. تزفيطان تودوروف، طرائق تحليل السود الأدبي (مقولات السود الأدبي)، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 1992.

7. جمعة طيبي: دلالة المكان والزمان في الرواية الجزائرية، منشورات مقاربات ، ط1، فاس، المملكة المغربية، 2010.

8. جميل حمداوي، روايات حرب زيدان بين التاريخ والتسويق الفني، منير للثقافة والفكر، نقلا عن الموقع 03-24-Www.diwanolalarob.com

9. جنيت وآخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، (د ط)، المغرب، 2002.
10. جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، م 1986.
11. جبرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر، ط2، 1997.
12. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء - الزمن - الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009م.
13. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
14. حسن سالم هندي إسماعيل: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسات في البنية السردية)، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2014.
15. حميد لحميداني: بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
16. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997.
17. سليمة بن النور، الرواية التاريخية بين التأسيس والضرورة، المجلة الثقافية نقلا عن الموقع، (2017/14:03/2914/2017/14:03) www.audnad.net
18. صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية (مدن الملح) لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد، الأردن، 2010.
19. عايدة أديب، الادب القصصي الجزائري، الجزائر، 1962.
20. عبد الرحمان باغي، البحث عن إيقاع روائي جديد في الرواية، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1999.

21. عبد الفتاح إبراهيم، البنية والدلالة في مجموعة حيدر "الوعول": ص 120 نقلا عن: نبيلة زويش، تحليل الخطاب السوداني في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.

22. عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، ط1، المركز الثقافي، 2003.

23. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع240، الكويت، ديسمبر 1998.

24. علي أحمد باكثير ونجيب كيلاني، الشخصية الروائية دراسة موضوعية وفنية، نادر أحمد عبد الخالق، دار العلم الإيمان للنشر كالتوزيع، دط، 2009 .

25. عمر عاشور (ابن الزيبان)، البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومه الجزائر ، د ط، 2010.

26. كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، دط، 2008.

27. محمود أمين العالم، الرواية بين زمننا وزمنها، مج فصول، عدد 12، مجلد 1، 1993.

28. مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ط1، دار القصة، الجزائر، 2000 م.

29. مها حسن القصراري، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.

30. نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، (مولدها وأثرها في الوجود القوم العربي العام)، دراسة تحليلية تطبيقية نقدية، دط، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2003 م.

31. وهيبة بوطغان، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، 2008-2009.

32. ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، سوريا، 2010.

الرسائل الجامعية:

1. حسين صوالحية ، بنية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة (لسانيات الخطاب)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2011، ص 57.

2. جريدة يحياوي، البنية الزمانية والمكانية في رواية زقاق المدن، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي حديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015.

الفهرس :

أ	مقدمة
	المدخل : الرواية والتاريخ
04	1/ الرواية الجزائرية بين النشأة والتطور
07	2/ الرواية التاريخية
11	3/ بين التاريخ والرواية
	الفصل الأول : مظاهر السرد التاريخي في رواية الكولونيل الزبربر
15	1/ التراتب الزمني
21	2/ المعالم المكانية
22	2-1- ماهية المكان الروائي
24	2-2- وظائف المكان الروائي
25	2-2-1- الوظائف الخارجية
27	2-2-2- الوظائف الداخلية:
29	2-3- أنواع الممكنة
33	3/ الشخصيات التاريخية
	الفصل الثاني : مظاهر السرد التخيلي في رواية الكولونيل الزبربر
46	1/ المفارقات الزمانية
48	2-1- الاسترجاع
52	2-2- الاستباق
54	2/ توليد الوقائع

60	3/ السرد وأبعاده التاريخية
68	خاتمة
	قائمة المصادر والمراجع
	الفهرس